الخزانة الحائلية

الدُّرَرُ العلميَّة من الرسائل الحائليَّة (٢)

دَعْوَة مُوسَى عليه السلام

وَمَعَالِمُ الإيمَانِ فيهَا كمَا ذُكِرَ في القُرْآن

تأليف

فضيلة الشيخ سليمان بن عامر العامر رحمه الله

توفي سنة ١٤٢١هـ

رسالةٌ علميَّة حصل بها المؤلف على درجة الماجستير

من المعهد العالي للدعوة الإسلاميَّة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة

بالرياض عام ١٤٠٢هـ

أعدَّها للنشرِ تحقيقًا وتعليقًا

حسان بن إبراهيم الرديعان

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العامر، سليمان عامر
دعوة موسى عليه السلام ومعالم الإيمان فيها كما ذكر في القرآن. / سليمان عامر العامر؛ حسان ابراهيم الرديعان. - الرياض، ١٤٢٩هـ
١٥٢ص ١٧×٢٤سم
ردمك: ٤-١٢٥-٥٩-٩٩٦٠-٩٧٨
١- موسى (عليه السلام) ٢- قصص الأنبياء أ. الرديعان، حسان ابراهيم (محقق) ب. العنوان
ديوي ٢٢٩.٥ ١٦٨/ ١٤٢٩

رقم الإيداع: ١٦٨/ ١٤٢٩
ردمك: ٤-١٢٥-٥٩-٩٩٦٠-٩٧٨

الناشر
دار التوحيد للنشر
الرياض

المملكة العربية السعودية - الرياض: ص. ب: ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣
هاتف: ٠١٢٦٧٨٨٧٨ فاكس: ٠١٤٢٨٠٤٠٤
البريد الإلكتروني: E-mail: dar.attawheed.pub.sa.sa@gmail.com

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله رب العالمين، حمدًا يليقُ بكماله وجلاله، وأشكرهُ شكرًا على نِعَمِهِ وآلائه، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد الذي تركنا على المحجة البيضاء، وعلى صحابته الكرام البررة، الذين حفظوا هذا الدين ولم يبدلوا تبديلاً، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فلقد أمرَ الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالدعوة إليه على بصيرة وعلم، وأوكل إليهم هذه المهمَّة العظيمة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]، فكانتْ دعوة الأنبياء عليهم السلام دليلاً وطريقًا للدعاة المُتَّبعين لهم، المهتدين بهديهم.

ومن تأمَّل حال الأمم السابقة بإعراضها عن دعوة أنبيائها، وسلوكها طريق الغي والضلال، عرفَ واعتبر بحال هذه الأمة التي متى ما تركت هَديَ نبيِّهَا محمد ﷺ وأصحابه من بعده فسيحل بها ما حلَّ بالأمم السابقة، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ

﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤].

وقصة موسى عليه السلام مع قومه في القرآن؛ فيها من الاعتبار والأحكام واللَّطائف بما حلَّ بتلك الأمة من التِّيهِ والضياعِ والخذلان ما تُستنهضُ به الهمم، وتُصحَّحُ به المعتقدات، وتُقرَّرُ به طرائق الدعوة إلى الله وسبلها، ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١].

من هنا كانت أهميَّةُ هذه الرسالة (**دَعْوَةُ مُوسَى عليه السلام وَمَعَالِمُ الإِيمانِ فيها كما ذُكِرَ في القرآن**) لفضيلة الشيخ سليمان بن عامر العامر رحمه الله؛ جليَّةً للدعاة والمشتغلين بتبصير الناس وإرشادهم اليوم. وهذه الرسالة هي الثانية من سلسلة **الدُّررُ العلميَّة من الرسائل الحائليَّة**[1]، وقد حصل بها المؤلفُ رحمه الله على درجةِ الماجستير من قسم الدعوة والحسبة من المعهد العالي للدعوة الإسلامية التابع لجامعةِ الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٢هـ بإشراف الدكتور أبو المجد نوفل.

وقد كانت هذه الرسالة ـ وهي بخط يد المؤلف ـ محفوظةً عند أبنائه،

---

(١) الرسالة الأولى خرجت بعنوان "هدية المسترشدين وشعار المهتدين بتحريم الملاهي أجمعين وبيان ما ورد من تحريم مزمار الشياطين" تأليف الشيخ عبدالعزيز بن خلف آل خلف ت١٤٠٨هـ رحمه الله، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

حتى أكرمني ابنه الأخ الشيخ الفاضل خالد بن سليمان العامر حفظه الله بصورةٍ منها لتحقيقها وضبطها وإخراجها ضمن هذه السلسلة، فجزاهُ الله خير الجزاء وأحسنه.

وأحسب أن هذا العمل يدخل في قوله ﷺ: **{إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقةٍ جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له..}.**

واللهَ تعالى أسأل أن ينفع بها، ويُبلِّغ المؤلِّفَ بها درجة العلماء الناصحين مع الأنبياء والشهداء والصالحين، إنَّه سميعٌ مجيب.

وكتبه

حسان بن إبراهيم بن عبدالرحمن الرديعان

مساء الجمعة الأخيرة من عام١٤٢٧هـ

في حائل المحروسة

ترجمة موجزة للمؤلف سُلَيْمَانُ بنُ عَامِرِ العَامِرِ رحمه الله(١)

(١٣٥١هـ- ١٤٢١هـ)

هو الشَّيخُ الفاضل والدَّاعيةُ المناضل سُليمانُ بن عامرِ بن مُحَمَّدِ العامر. وُلِدَ في مدينةِ الرَّوضة جنوب حائل عام ١٣٥١هـ، وَسَطَ أسرةٍ مشهورةٍ بالعلمِ والفضلِ، وتربَّى في كَنَفِ أبيه وجدِّه.

تَتَلْمَذَ على يدِ أبيهِ الشيخ عامر، وعمِّه الشيخ عبد المحسن بن محمد، وأخذ عنهما مبَادِئَ العُلُوم الشرعية والعربية من الخط والحساب.

وتأهَّل الشيخ سُليمان في وقتٍ مبكِّر من عمرهِ، وكان رحمه الله يجمعُ بين طلب العلم وكسب المعيشة، حيثُ كان فلاَّحًا مع والده، ولَمَّا فُتِحَتِ المدارسُ النظاميَّة دَرَسَ الابتدائيةَ وكان يُرحَّل من سنةٍ إلى أخرى لتفوُّقِهِ العلمي حتى أخذ الابتدائيَّة في ثلاث سنوات مع عملهِ خادمًا في المدرسة.

---

(١) أفادني بأكثر معلومات هذه الترجمة الأخ الشيخ الفاضل خالد - ابن المؤلف - جزاه الله عني خير الجزاء وأحسنه.

وأثناء مراجعتي الأخيرة لهذا الكتاب صدر للأخ الفاضل طارق بن عبده المزيني كتابًا بعنوان **الفيض العاطر في سيرة الشيخ سليمان العامر**، ط١٤٢٨هـ، ترجم فيه - مشكورًا - ترجمةً وافية للمؤلف رحمه الله ذكر فيه جوانبًا مهمَّة من حياة المؤلف.

ولَمَّا فُتِحَ المعهد العلمي بحائل في ١٠/٧/١٣٨١هـ، وأخذَ الشيخ سليمان الابتدائيةَ أرادَ الشيخُ سُليمانُ الانتقالَ إلى حائلَ لطلب العلم والدراسة في المعهد العلمي فوَجَدَ في ذلك معارضةً من والده، بسببِ تركِهِ طلب المعيشة والرِّزق. فدخل المعهد ودرس فيه، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت لا يقبل إلا عددًا محُدَّدًا، وكان الشيخُ عاشرَ عشرةٍ أرادَ المعهدُ إبعادهم لتجاوزهم العدد المحدود، فكان أحد أساتذة المعهد وهو الأستاذ عبدالله العرفج من المعارضينَ لإبعادِ الشيخِ سليمان، وقال لمن بيده الأمر: لا يرد عليَّ في الآياتِ والأحاديث إلا سُليمان فكيف يبعد؟[١].

بعد تخرُّجِ الشيخ سُليمان من المعهد العلمي رحل إلى الرياض ـ ومعه أهله وأولاده ـ ليواصل طلبه للعلم، فدخل كُليَّة الشريعة ودرس منتظمًا مُدَّةَ سنتيْن، ثم تمَّ تكليفهُ في إنشاء مكتب الدعوة ببلدة ظباء على الساحل الغربي، وواصلَ بقيةَ دراسته في كلية الشريعة انتسابًا.

وفي أثناء دراستِهِ المنتظمة بالرياض كانتْ له لقاءات ومدارسات مع المشايخ في الكُليَّة وخارجها، فكانت بينه وبين الشيخ عبد الرَّحْمَن الفُرَيَّان رَحِمَهُما الله قراءة في التفسير.

وفي عام ١٤٠١هـ انتسبَ رحمه الله في قسم الدعوة والحسبة في المعهدِ العالي للدعوة الإسلامية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل

(١) إفادة الأستاذ رشيد الشبرمي وكيل المعهد العلمي.

درجة الماجستير، فأخذها عام ١٤٠٢هـ وكان عنوان بحثه (دعوة موسى عليه السلام ومعالم الإيمان فيها كما ذُكِرَ في القرآن).

أعماله ومناقبُهُ:

١- تولَّى إنشاء وافتتاح مكتب الدعوة والإرشاد في بلدة ظباء على الساحل الغربي كما سبق بيانه وذلك في حدود عام ١٣٩٦هـ، أمضى الشيخ رحمه الله قريبًا من سَنَتَيْن في ظباء داعيةً ومرشدًا فيها وما حولها من بلاد وقرى.

٢- في عام ١٣٩٨هـ انتقلَ إلى حائل ليُفْتَتَحَ على يديْهِ مكتبُ الدَّعوة والإرشاد، وكان أول ما أنشأه في بيته رحمه الله.

٣- في ٩/ ٣/ ١٤٠٩هـ انتقل إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتولَّى إدارة مركزها بحائل(١).

٤- في ١٢/ ٣/ ١٤١٣هـ رُفِّعَ مركز الهيئة بحائل إلى فرعٍ للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الشيخُ سليمانُ أولَ رئيسٍ للفرع بحائل، إلى أن تقاعد رحمه الله في أول عام ١٤١٧هـ.

تولَّى الشيخ سُليمان رحمه الله العديد والكثير من العضويات في المجالس والهيئات والجمعيات الخيرية والمراكز الاجتماعية، وهي:

١- عضوًا في مجلس إمارة منطقة حائل.

(١) وكان قد أُنشأ مركز هيئة الأمر بالمعروف بحائل في ١/ ١/ ١٣٧٤هـ، وتولى رئاستها الشيخ عبد الكريم الصالح رحمه الله.

٢- عضوًا في الجمعية الخيرية بمنطقة حائل.

٣- عضوًا في الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بحائل.

٤- عضوًا في الجمعية الخيرية بمدينة الروضة بحائل.

٥- عضوًا في جمعية الملك عبد العزيز الخيرية بحائل.

٦- عضوًا في لجنة إصلاح ذات البين.

٧- عضوًا في مركز الدعوة والإرشاد بحائل بعد تقاعده من العمل.

٨- عضوًا ورئيسًا في اللجنة الاستشارية في فرع وزارة الشؤون الإسلامية.

دُروسُهُ العلميَّة:

كان للشيخِ سُليمان ﷺ دروسٌ علمية مستمرّة، منها: شرح منار السبيل ـ شرح أغلب أبوابه ـ، كما شَرَحَ العُدَّة شرح العمدة إلى نصف الكتاب، وكان له درس في التعليقِ على تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ، بالإضافةِ إلى المحاضرات والندوات العلميَّةِ التي كان الشيخ يلقيها.

ولم يكن الشيخ بالذي يخطب في جامع واحد بشكل منتظم، بل كان يتنقل في كل جمعة بجوامع المدينة أو القرى والهجر.

مواقف من حياة الشيخ:

أخبرني الشيخ المعُمَّر الفرضي القاضي رشيد بن محمد القيسي قاضي

ظباء وحقل[1] أنه عرف الشيخ سليمان، وأدرَكَ أثرَهُ الدعوي على تلك الجهات، وكانت بينهما لقاءات ومجالسات.

وللشيخِ سُليمان رحمه الله مكانةٌ في قلبِ سماحةِ الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، حيث ما يأتيه أحدٌ من حائل ويسلم عليه ويخبره أنه من تلك الجهة إلا وسأله عن حال الشيخ سُليمان.

وهنا أذكر لك أخي القارئ الكريم موقفَيْن من حياةِ الشيخ سُليمان العامر رحمه الله، **أولهما**: أثناء إقامة الشيخ سُليمان داعيةً في بلدة ظباء، وبينما هو سائر في طريقه يقود سيارته إلى إحدى القرى للدعوة، لقِيَ في الطريق رجلٌ انقطعَ به السبيل ويطلب المساعدة، فوقفَ الشيخُ وأركبه ليوصله إلى ما يريد، وما علم الشيخ رحمه الله أنه قاطع طريق، وفي أثناء الطريق أشهرَ الرجلُ سلاحَهُ في وجه الشيخ سليمان وهددَّه بالقتل إن لم يُسلِّم ما معه من مال، فهوَّن عليه الشيخ بكل طمأنينة وأخبرهُ أنْ ليسَ معه من المال إلا القليل، وأنّه سيُعطيه إيَّاه، ثم بدأ الشيخ ينصحهُ ويعظهُ بالله حتى انكفَّ عنه، ولما قرب الشيخ من الوصول إلى البلدة المقصودة، خيَّرهُ الشيخ بين أن يعاهدهُ بالتوبةِ النصوح، أو أنْ يُمكِّنهُ من الشرطة، فانصاع القاطع معاهدًا للشيخ

---

(١) في زيارتي له بمنزله بمحافظة حقل بمنطقة تبوك عصر الثلاثاء الموافق ٢٨/٨/١٤٢٥هـ، والشيخ عُمِّرَ إلى ١٢٨عامًا، فهو من مواليد سنة ١٢٩٨هـ، وتوفي صبيحة يوم الأربعاء الموافق ١١/ ٣/ ١٤٢٦هـ في حقل ودفن هناك رحمه الله رحمةً واسعة.

بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى فخلَّى سبيله الشيخ رحمه الله.

ثانيهما: لَمَّا تُوفي الشيخ رحمه الله ظهر لأبنائِهِ وأهله أنَّه كان يعول عوائلَ فقيرةٍ من جيرانه، وهي خبيئة عمل لم تظهر للناس إلا بعد موتِهِ رحمه الله وغفر له، وخبايا الأعمال من هدي السلف الصالح.

وفاتُه: بعْدَ أنْ أدَّى الشَّيْخ فريضة الحج عام ١٤٢١هـ وعاد إلى حائل سالِمًا، وفي عصرِ السبت الخامس عشر من شهر ذي الحجة من السنة نفسِها وهو في طريقه إلى مزرعته على طريق القصيم ـ يقود به سائقهُ ـ قدَّرَ له الله حادثًا توفيَ على إثرِهِ. وصُلِّيَ عليه من الغد في جامع برزان في جنازةٍ مهيبةٍ اكتظ الجامع بالمصلين، والمقبرة بالمشيِّعِين. وحزن الناس لفقده حزنًا شديدًا، وجاءت الصُّحُفُ بخبر وفاته، والمقالات بالثناء عليه، وذكر مناقبه، ورُثِيَ بمراثٍ عديدة.

مَنْهَجُ المؤلّف في هذهِ الرِّسَالَةِ

منهج المؤلِّف رحمه الله في هذه الرسالة منهجٌ سهل، وأسلوبه فيها بسيط العبارة. وهذا ما يجعل لنشر هذه الرسالة ميزة وقيمة حيث يستطيع تناولها والإفادة منها طالبُ العلم ومن سواه. وإن كانت هذه الرسالة تفتقر إلى بعض الجوانب البحثية في منهج الرسائل الجامعيَّة اليوم[1] مثل:

١- الطرح السرديُّ للمعلومات الخالي من الأسلوب الإنشائي، ولعلَّ المؤلف رحمه الله كان يحاكي في ذلك الرسائل الجامعية في وقته.

٢- العزو إلى المصادر والمراجع، سواءًا في نسبة الأقوال والآراء، أو في حالة الاقتباس من بعض الكتب.

وتتمثَّل قيمة هذه الرسالة العلميَّة في طرحها السهل الذي تناول حياة موسى عليه السلام من ولادته مرورًا بالعقبات التي عاشها في بيت فرعون ومع بني إسرائيل ومبدأ نبوته إلى وفاته قبل دخول الأرض المقدسة، كما استوحى المؤلِّف رحمه الله المعاني الجليلة في قصة موسى عليه السلام مع السَّحَرة وما حصل له

---

(١) وهذا ما كانت عليه أغلب الرسائل الجامعية في ذلك الوقت، فقد اطلعت على رسالة مماثلة لهذه الرسالة من المعهد العالي للدعوة فوجدتها قريبة إليها في المنهج البحثي.

من تأييدٍ من الله سبحانه وتعالى، وأنْ منَّ عليه بتكليمه له، وإجراء الآياتِ التسعِ على يديه، وبيان العبرة والعظة فيما حصل لقومه مع أخيه هارون والسامري وبلوغ الأرض المقدسة. وقد أخذ المؤلِّف هذه الجوانب من كتاب الله سبحانه وتعالى الذي ورد فيه قصة موسى عليه السلام في أكثر من سورة، وجاء استشهاد المؤلِّف وثيقًا بين الآيات مرتبطةً بعضها ببعض. ومما يُميِّز هذه الرسالة أنَّها إلى علم التفسير أقرب. والدراسات المقدمة في دعوة الأنبياء عليهم السلام لا تنفكُّ عن هذا الفن أبدًا، لتعلُّقها بكتاب الله تعالى.

ويمكن تلخيص منهج المؤلِّف رحمه الله في هذه الرسالة على ضوء ما يلي:

١- سُلُوكُه الطريق الإنشائي أو الخطابي، مما يجعل هذه الرسالة ذات أسلوب دعويٍّ أقرب منه إلى العلمي، ولعل هذا ما يُوافقُ عنوان الرسالة.

٢- كثرة الاستشهاد بالآيات، واجتزاءِ نصِّ الشَّاهِدِ من الآية كقولِ المؤلِّفِ في خبر قارون: {ونسيَ أنَّ الله ﴿قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾}، وربما يتكرَّرُ الاستشهاد بالآية أو جزء منها في نفس الموضع.

٣- نقْلُ المؤلِّف لنصوصٍ طويلة من بعض المصادر بتصرف ودون العزو إليها أحيانًا، والغالب أَنَّهُ يعزو إليها في آخر النص.

٤- لم يُشر المؤلف إلى بعض المسائل الخلافية المهمة في الرسالة مثل تحديد اسم والد الفتاتين اللتين سقى لهما موسى عليه السلام، وقد فنَّد شيخ

الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن يكون هو شعيبٌ النبي في رسالةٍ له بعنوان رسالة في قصة شعيب[١]، وكذلك في اسم الخِضْر وهل هو نبي أو ولي؟[٢].

وهذا ما يجعل الرسالة سهلة العبارة، واضحة للمتعلم والعامي.

---

(١) حققها وأخرجها محمد رشاد سالم رحمه الله في جامع الرسائل (١/ ٦٠).

(٢) ولابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ رسالة مفردة بعنوان "الزهر النضر في حال الخِضْر" طبعت في مجمع البحوث الإسلامية.

مَنْهَجي في تَحقيقِ الرِّسَالة

١- ضبطُ النَّصِّ تصحيحًا، وتشكيلاً لما يلزم، مستخدمًا علامات الترقيم.

٢- التوضيح اللغوي لبعض الكلمات من المعاجم اللغوية.

٣- تخريج الآثار وعزو الأقوال والآراء للمصادر والمراجع المعتمدة حسب الجهد والاطلاع.

٤- التعريف بالأعلام والأماكن الواردة.

٥- إيراد بعض مسائل الخلاف المهمَّة من مصادرها في الحاشية مما يُفيد المسألة المطروحة في نص الكتاب.

٦- قد أضطرُّ - أحيانًا - إلى تصحيح كلمة أو إضافة كلمة ساقطة يقتضيها السياق، فأضعها بين معكوفتين [ ].

٧- كل حاشية وضعتُها من تعليقي - لما سبق - أميِّزُها عن تعليق المؤلف في البداية بكلمة (المحقق)، وما سوى ذلك فهو من حاشية المؤلِّف الأصلية.

هذا ولا يوجد لهذه الرسالة إلا هذه النسخة التي كانت عند المؤلِّف

بخطِّ يده، وقد بحثتُ عن نسخة أخرى في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض فلم أظفر بشيء.

وَصْفُ النُّسْخَةِ: تقع هذه النسخة في ١١٥ صفحة، بخط المؤلِّف المتوسِّط الحُسن، وقد قسَّمها المؤلف إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة. وألحق فيها فهرسًا للآيات(١)، ثم المصادر والمراجع، ثم فهرسًا لمواضيع الرسالة.

❀❀❀

(١) لم أضف فهرس الآيات؛ لأن المؤلف لم يستوعب كل الآيات في الفهرس، ولطوله ـ لو أُتِمَّ ـ وعدم أهميته خصوصًا مع عدم وضع المؤلف فهرسًا للآثار والأحاديث.

الخزانة الحائلية
الدُّررُ العلميَّة من الرسائل الحائليَّة (٢)

دَعْوَةُ مُوسَى عليه السلام
وَمَعَالِمُ الإيمَانِ فيهَا كمَا ذُكِرَ في القُرآن

تأليف
فضيلة الشيخ سليمان بن عامر العامر رحمه الله
توفي سنة ١٤٢١هـ

بحث تكميلي قدمه المؤلف لنيل درجة الماجستير
من المعهد العالي للدعوة الإسلاميَّة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة
بالرياض عام ١٤٠٢هـ

أعدَّهَا للنشرِ تحقيقًا وتعليقًا
حسن بن إبراهيم الرُّديعان

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضلِلْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا(١)، أما بعد:

فإنَّ النظامَ المتبعَ في المعهدِ العالي للدَّعْوةِ الإسلاميَّةِ لطُلاَّبِ السنةِ الرابعةِ هو أنْ يُقدِّمُوا بحثًا من جُملة الدروسِ المقرَّرَةِ، يَحصلُ الطالبُ بمقتضاهُ على نيلِ درجةِ الماجستير. وبما أنَّ البحثَ له ارْتباطٌ في عمَلِي في الدَّعْوةِ إلى الله فأنا مُحتاجٌ لمزيدِ المعرفةِ بأساليبِ الدُّعَاةِ وخاصَّةً الأنبياءَ عليهم السلام؛ لأنهم هم القُدْوَةُ الصالحةُ فيما يقولونَ ويفعلونَ.

وسبب اختياري لهذا الموضوعِ أمران:

الأمرُ الأولُ: أنهُ موضوعٌ هامٌ لما يتضمنهُ من عظاتٍ وعبرٍ كثيرةٍ وهو أنَّ موسى عليه السلام عاشَ في مُجتمعٍ يُنكرُ الوجود والحقَّ، ويدَّعِي قائدُ هذا

---

(١) هذه خطبة شرعها النبي ﷺ، في سنن ابن ماجه (١/ ٦٠٩) باب النكاح، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي سنة ١٣٩٥هـ.

المجتمعِ أَنَّهُ إلهُ العالمينَ وأنه لا ربَّ غيره. وقد أذنَ الله أن يبقى هذا الظلمُ فترةً من الزمنِ مُعارضًا دعوةَ موسى عليه السلام مستعينًا بما لديه من عِدَّةٍ وعَتَادٍ، وصدَقَ اللهُ إذ قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام:١١٢].

لكنَّهُ إذا جاء الحقُّ زهقَ الباطلُ كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨].

الأمر الثاني: حاجةُ الناس إلى الارْتباطِ بطريقِ المرسلينَ وأنَّ ما يدور في عالمِنَا اليوم؛ شبيهٌ بما حدثَ في زمن الفراعنةِ من ظُلْمٍ واضْطهادٍ وتقتيلٍ للأبرياءِ، بسبب بُعد الناسِ عن معالِمِ الإيمانِ التي واجهَ بها موسى خصومَهُ، وأنَّ ما يَحْصلُ عند الناسِ اليوم من اغْترارٍ بالقوةِ الماديَّةِ واعتمادٍ عليها ما هُوَ إلا امتدادٌ لما حَصَلَ في زمَن أولئكَ. وما يحصلُ اليوم من تنكُّرٍ على الدينِ وتعاليمِهِ وإنكارٍ للوجودِ الحقِ ما هُوَ إلا ميراثٌ ورثهُ هؤلاء من أولئك. وإنَّني أعتقدُ أنَّ البحثَ في هذا الموضوعِ على وجهِ الكمالِ والدقةِ يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ وقدرةٍ لا أدَّعيها وإنَّما هيَ المحاولةُ، وحسبي أنْ أبذلَ ما أستطيعُ من أجلِ إظهارِ الصورةِ التي سارَ عليها نبيُّ الله موسى فإنْ حصلَ توفيقٌ فمنَ الله، وإنْ حصلَ تقصيرٌ أو خطأٌ فمنِّي وكلُّ بني آدمَ خطَّاء، وما توفيقي إلا باللهِ فهوَ حسبي ونعمَ الوكيل، ولأستاذي المشرف كلُّ احترامٍ وتقدير فهوَ الذي ساعدني على وضعِ الخطة فنفذتها.

مَنْهَجُ البحْثِ وخطَّتُهُ

بعد تصوري للبحثِ عن حياةِ موسى قبلَ البعثةِ وبعدها، وعلى ضوءِ التشاورِ مع المشْرفِ على خطَّةِ البحثِ وما ينبغي أن تكون عليه الخطَّةُ في ترتيب الأبوابِ والفصولِ والمباحثِ، فقدْ وضعتُ الخطةَ على النحو التالي: لَقَدْ قَسَّمْتُ البحثَ إلى مقدمةٍ وتمهيدٍ وثلاثةِ أبوابٍ وخاتمةٍ.

أمَّا المقدمَةُ فقد ذكْرتُ فيها سبب اختياري لهذا البحثِ، وحالةَ المجتمعِ الذي بُعث فيه موسى عليه السلام، ونهايةَ الباطلِ ونتائجَ الإيمانِ وحاجةَ الناسِ إلى الدعوةِ. وما يُوجَدُ في عالمِنَا اليوم ما هو إلا ميراثٌ ورثه هؤلاء من أولئك. أما التمهيدُ فتناولتُ فيه بيان الاستفادَةِ من المصَادرِ التي قَرَأْتُهَا من الآياتِ القرآنيةِ، والأحاديثِ النبويةِ، وكلامِ المفسرينَ، وكتبِ التاريخِ، والكتبِ العصريةِ التي تَحَدَّثتْ عن دعوةِ موسى ومَا واجهَهُ من مَخَاطِرَ وحِمَايةِ الله له، وعناد فرعون وقومِه، وعدم قبولِهم، وهلاكِهم في النهايةِ، وعبادةِ بني إسرائيل وجُبنِهم وعقابِ الله لهم، وانتصارِ الحق مع قلةِ أهله.

أمَّا الأبوابُ فقد قَسّمْت كل بابٍ إلى ثلاثةِ فصول:

الباب الأول: حياة موسى عليه السلام قبل البعثة، وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حياة موسى عليه السلام الأولى، وتشتمل على عدة أمور:

١- نسبه. ٢- مولده.

٣- حفظ الله له وإرضاعه. ٤- نشأته.

الفصل الثاني: موقفه مع شيعته وعدوه وافتضاح أمره وتحته ثلاثة أمور:

١- موقفه مع شيعته وعدوه.

٢- خروجه من مصر إلى أرض مدين.

٣- زواجه.

الفصل الثالث: خروج موسى عليه السلام من أرض مدينة مدين وما واجهه من مخاطر وتحته ثلاثة مطالب:

١- بداية الوحي.

٢- معرفة المعجزات. ٣-التوجه إلى الله بالدعاء.

الباب الثاني: بداية رسالته عليه السلام وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: إعلان موسى عليه السلام بالدعوة، ويشتمل على مبحثين:

أ- بدء الرسالة والحوار وتخويف فرعون مغبَّةَ العصيان.

ب- هزيمة فرعون وانتصار موسى عليه السلام وتحته ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: مهاجمة فرعون وطلبه المبارزة.

الموقف الثاني: مواجهة السحرة.

الموقف الثالث: إيمان السحرة.

الفصل الثاني: عناد فرعون وقومه، ويشتمل على خمسة أمور:

١ - أنَّ الباطل لا يخلو من أعوان.   ٢- محاولة قتل موسى.

٣- خبر مؤمن آل فرعون.   ٤ - ابتلاء آل فرعون.

٥- خروج موسى من مصر وهلاك فرعون.

الفصل الثالث: حالُ بني إسرائيل بعد هلاك فرعون، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ميعاد الله لموسى عليه السلام.

المبحث الثاني: كلام موسى مع ربه وعتابه لهارون وللسَّامِرِيّ.

المبحث الثالث: عقاب بني إسرائيل ثم عفو الله عنهم.

الباب الثالث: ما واجهه موسى عليه السلام من بني إسرائيل، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عدمُ قبولِ بني إسرائيل لأحكام الله، ورأفةُ موسى بهم، ويحتوي على ثلاثة أمور:

١ - رفع الجبل فوقهم.

٢ - امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة.

٣-استغاثة موسى لهم.

الفصل الثاني: تحيُّل بني إسرائيل وعقابُ الله لهم، وفيه ثلاثُ عظات:

١ - خبر أهل القرية.

٢- خبر قارون.

٣- قصة البقرة وما يستفاد منها.

الفصل الثالث: رحلةُ موسى عليه السلام في طلب العلم وتشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: سببُ رحلة موسى مع الخِضْر عليهما السلام وتحتوي على ثلاثة مشاهد إيمانية:

أ- خرق السفينة ب- قتل الغلام جـ- إقامة الجدار.

المبحث الثاني: محاجةُ آدم لموسى عليهما السلام وما فيها من الإيمان بالغيب.

المبحث الثالث: شمائلُ موسى عليه السلام وما فيها من معالم إيمانية.

المبحث الرابع: أسلوبُ موسى في الدعوة ومعالم الإيمان فيها.

وفاة موسى عليه السلام.

الخاتمة.

المصادر.

تمهيد

لا ريبَ أن حياةَ موسى عليه السلام تنقسمُ إلى قسمين:

الأول: مِن مولدهِ إلى أن بعثَهُ الله رسولاً إلى فرعونَ وقومِه وإلى بني إسرائيل.

الثاني: ما بعد البعثة إلى أنْ لقيَ ربه.

وقدْ كانَ العهدُ الذي بُعِثَ فيه موسى عهدًا يُسيطرُ عليهِ الجهلُ بتعاليمِ السماءِ. الحاكمُ يدَّعِي الألوهيةَ ولا يَجِدُ له مانعًا، والمجتمعُ يسيطرُ عليْهِ السحرُ والشعوذةُ ولا يَجِدُ له مُعلمًا. وإنَّ من حكمَةِ الله أنه يبعثُ لكلِّ أمَّةٍ رسولاً، ويعطيه مِن المعجزاتِ ما تُناسِبُ قومه. فقد بُعِثَ موسى عليه السلام في مُجتمعٍ مُجيدٍ للسِّحْرِ وتعاطيه، فأمدَّهُ اللهُ بالعصَا من نوْعِ ما يصنعُون لتكونَ برْهَانًا على صِدْقِ دعوتهِ لفرعونَ وقومِه. وقدْ كانتْ حالُ بني إسْرائيلَ وقتَ مَجيءِ موسَى يُسيطرُ عليها الخوفُ، حيث إنَّ فرعونَ يقتلُ الذكورَ ويُبقي الإناثَ.

بعدَ معرفتي هذا والنظرِ في كتاب الله الكريم، ودراسةِ التفاسير التي ذُكِرَتْ فيها أخبارُ بني إسرائيلَ وبعدَ الاطلاعِ على الآياتِ الخاصةِ بدعوةِ

موسى عليه السلام وقراءةِ كُتُبِ الحديثِ وتاريخِ الأمَمِ الماضيةِ وأحْداثِهَا، وبعد معرفتي للآيات الخاصة بدعوة موسى عليه السلام في معظم سور القرآن، ومعرفة ما واجهَهُ من مَخاطرَ في بدايَةِ حياتِهِ، وحِمَايةِ الله لهُ من القتْلِ ومَا واجهَهُ قبْلَ الرسالةِ من فرعونَ وملأهِ وخروجهِ إلى أرضِ مدينَ، وما واجهَهُ بعدَ الرسالةِ عندَ رجوعِهِ إلى مصرَ، ومواجهَةِ السَّحَرَةِ وانتصارِهِ عليهم وإيمانهم، وخروجهِ من مصرَ وهلاكِ فرعونَ وقومِهِ بعدَ رفضِهِم للدلائلِ والمعجزاتِ التي جاء بها من عندِ الله، وبعد معرفةِ ما واجهَهُ من بني إسرائيلَ وما يتَّصِفُونَ بهِ من الجُبنِ وردِّ الجميلِ الذي صنعَهُ موسى بهِم، وإنكارِهم للنِّعَمِ التي أنْعَمَ اللهُ بها علَيْهم مِنْ جَعْلِ الأنبياء فيهم، وجَعْلِهم مُلُوكًا وإتيَانِهم ما لم يُؤتِ أحدًا من العالمين، وعصيانِهم لنبيِّ الله موسى ومخالفةِ أمرِهِ. ومن خلالِ دراسَتِي لبعضِ الآياتِ دراسةَ المفَسِّرِ والداعيةِ، اسْتَخْلَصْتُ منها القواعدَ العامة للدعوة، وأسلوبَ الداعي ومنهجَه في الدعوة ومراعاةِ حال المدعوِّيين؛ تبيَّنَ لي من خلالِ ذلكَ أنهُ لا غنى للناسِ عن هذا الطريقِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وأنَّ حكمَةَ الله ماضيةٌ في إيجادِ الخيرِ والشرِ من حين وُجِدَ أوْلُ مخلوقٍ على وجْهِ الأرْضِ. وقَدْ اسْتَعَنْتُ في هذا البَحْثِ بالقرآنِ الكريمِ، وتفسيرِ ابنِ كثيرٍ، والخازنِ، وفتحِ القديرِ للشوكاني، والإتقانِ للسيوطي، وقصَصِ القرآنِ، والبدايةِ والنهايةِ لابن كثير، والظِّلالِ لسيد قطب، وصحيحِ البخاري، وصحيحِ مسلم،

وسنن ابن ماجه، وصحيحِ الجامعِ الصغيرِ للألباني، والنبوةِ والأنبياءِ للصابوني، ومعَ الأنبياء لعفيف طبارة، وقصصِ الأنبياءِ لمحمد جاد المولى، وقصصِ الأنبياء لعبدالوهاب النجار، واليهودِ في القرآن لعفيف طبارة، وأحسنِ القصص لعلي فكري. وقد استفدتُّ من هذه المراجع بالوقوفِ على حقيقة دعوةِ موسى عليه السلام ومعرفةِ المعجزات التي آمنَ على مثلها البشرُ، والتي جاءَ بها موسى مناسِبةً لما عند القَوْمِ والتي آمنَ السحرةُ أنفسُهم بسببها. وعرفتُ ما تَحْمِلُهُ هذه الدعوةُ من معالم الإيمان التي واجه بها موسى خصومَه مواجهة الواثق بنصر الله. وعرفتُ نهايةَ الباطلِ وأهلِهِ وأنَّ العاقبةَ للمتقين. كما عرفتُ أنَّ اللهَ خلَقَ الخلْقَ وعَلِمَ ما هُم عاملونَ قبلَ أن يَخْلُقَهُم(١)، والأعمالُ بالخواتيمِ، وأنَّ اللهَ فسحَ المجالَ لعواملِ الإفسادِ إلا أنه سبحانه وتعالى لَم يترك الخلق بلا رسالةٍ ترْسُمُ لَهم معالِمَ الطريقِ وبعدَهَا يتْرِكُ الخيارَ لهم. كما عرفتُ أن الخلقَ لو تُرِكُوا على فِطَرِهم لعَرَفُوا الحقَّ بمَا نُصِبَ لهم من الدَّلائلِ الكونيةِ، إلاَّ أنَّ عواملَ الانْحِرَافِ وتدَخُّلاتِ المبطلينَ هِيَ التي تَصُدُّ الناسَ عن طريقِ الحقِّ، وأنَّ مهِمَّةَ الرُّسُلِ هيَ الدعوةُ إلى الله بالرفقِ واللِّينِ لا بالقوَّةِ والإكراهِ وأنَّ الحكمةَ من أمْرِ الناسِ

---

(١) (المحقق): هذه المقدمات التي ذكرها المؤلف رحمه الله هي مما يُعلمَ من الدين بالضرورة، وذِكْرُ المؤلف لها من باب زيادة التأكيد على الحقائق الربانية، وبيانها من خلال قصص الأمم السابقة.

هي إقامةُ الحجَّةِ علَيْهم، وأنَّ اللهَ يُرسلُ كلَّ رسولٍ بلسانِ قومهِ ويأتيهِم بالمعجزاتِ التي تُناسبُ حالَهُم، وأنَّ الإنسانَ عُرضَةٌ للخطَأ، إلا أنَّ الأنبياءَ لا يُقرِّونَ عليهِ وبابُ التوبة مفتوحٌ ما لم تبلغ الروح الحلقوم.

البَابُ الأَوَّلُ

حياة موسى عليه السلام قبل البعثة

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حياة موسى عليه السلام الأولى.

نسبه، مولده، حفْظُ الله له وإرضاعه، نشأته.

الفصل الثاني: موقفه مع شيعته وعدوه وافتضاح أمره.

موقفه مع شيعته وعدوه، خروجه من مصر إلى مدين، زواجه.

الفصل الثالث: خروجه من أرض مدين وما واجهه من مخاطر.

بداية الوحي، معرفة المعجزات، التوجه إلى الله بالدعاء.

لقدْ أحاطتِ المخاطرُ بموسى عليه السلام منذ أن حَمَلتْ به أمُّهُ والأعينُ ترقبُ مجيئَهُ. حيثُ إنّ النظام في عصر فرعون قائمٌ بتقتيل المواليد منِ الذكورِ عامًا، وتركهم عامًا. ولكنَّ حكمةَ الله نافذةٌ في بقائهِ حيًّا رغمَ محاولةِ القتلِ، فقد قيَّضَ اللهُ من يُدافعُ عنه وهوَ رضيعٌ وهيَ امرأةُ فرعونَ؛ امرأةُ من يُريدُ قتلَهُ، قذف اللهُ محبتَه في قلبها فصار قُرَّةَ عينِها، وإليكم الحديث عنه مختصرًا.

الفصل الأول: حياة موسى عليه السلام الأولى.

لقد تقدمَ الحديثُ عن حياةِ موسى عليه السلام وما واجهَهُ من مَخاطرَ[١] إلا أنَّ اللهَ رسم له طريقَ السلامةِ في إرضاع أمِّه، ووضعهِ في اليَمِّ، ومراقبةِ أختهِ، والتقاطِ آل فرعونَ، وتحريمِ المراضع ليرجعَ إلى أمهِ لتُرضعَهُ وتأخذ أُجرةَ إرضاعه، ثم يَنشأُ في بيتِ أعدائه نشأةَ القوَّةِ والشجاعةِ، ثم يُغادرُ البلادَ ليتدربَ على الحياةِ، ليصبحَ قائدًا للناسِ ومنقذًا لهم، مؤيَّدًا بالمعجزاتِ المناسبة لقومِه، وإليكم الحديثَ عن حياتهِ الأولى مشتملاً على أربعة أمور:

الأول (نسبه عليه السلام): هوَ مُوسى بنُ عمرانَ بن قاهثَ بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام[٢]، وقد خصَّهُ اللهُ بالكلامِ من بينِ سائرِ خلقهِ ، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء:١٦٤].

الثاني (مولده عليه السلام): ذكر السُّدِّي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس وعن مُرَّةَ عن ابنِ مسعودٍ وعن أُناسٍ من الصحابة أنَّ فرعونَ رأى في منامهِ كأنَّ نارًا قد أقبلتْ من نحو بيتِ المقدس، فأحرقت دورَ مِصْرَ وجَميع القبط، ولم تَضُر بني إسرائيل، فلما استيقظ هالَهُ ذلك فجمعَ الكهنةَ

---

(١) في التمهيد.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير (٢/ ٣) تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد دار الحديث.

والحذَقَة(١) والسحرةَ، وسألَهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلامٌ يُولَدُ من هؤلاء يكونُ سببُ هلاكِ أهلِ مصر على يديْه، فلهذا أمرَ بقتلِ الغلمانِ وتركِ النساءِ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[القصص:٥-٦].

وقد ذكرَ غيرُ واحدٍ من المفسرينَ أنَّ القبطَ شكَوْا إلى فِرْعونَ قلةَ بني إسرائيل بسببِ قتلِ وِلدانِهم الذكورَ، فأمَرَ فرعونُ بقتلِ الأبناءِ عامًا وأن يُتْرَكُوا عامًا(٢)، وأنَّ موسى عليه السلام وُلِدَ في عامِ قتلِهم، فضَاقَتْ أُمُّهُ بِهِ ذرْعًا واحتَرَزَتْ مِن أوَّلِ ما حُبلَتْ، ولم يكن يظهر عليهَا مخايِلُ الحبَل، فلما وضعتْ أُلْهِمَتْ أن اتخذَتْ له تابوتَ، فربَطَتْهُ في حبْلٍ وكانَتْ دارهَا مُتاخِمَةً

(١) (المحقق): قال في لسان العرب (١٠/ ٤٠): الحِذْقُ و الحَذاقةُ: المهارة في كل عمل، ويقال: حَذْلَقَ الرجلُ و تَحَذْلَق إذا أظهر الحِذْق وادّعى أكثر مما عنده.

(٢) (المحقق): أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٤٠) برقم (١٦٦٧٢) قال: حدثنا أبو زرعة ثنا عمرو بن حماد بن طلحة ثنا أسباط عن السُّدي قوله ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾: وجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح، فلا يكبر الصغير، وقذف الله عز وجل في مشيخة بني إسرائيل الموت فأسرع فيهم فدخل رؤوس القبط على فرعون فكلموه فقالوا إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلماننا، نذبح أبناءهم فلا يبلغ الصغار فيعينون الكبار فلو أنك تُبقي من أولادهم، فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت موسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه.

للنِّيل، فكانَتْ تُرضعهُ فإذا خَشِيَتْ من أحَدٍ وضَعَتْهُ في ذلِكَ التابوتِ فأَرْسَلَتْهُ في البحْرِ وأمْسَكَتْ طرَفَ الحبلِ عندَها، فإذا ذهبُوا اسْتَرْجَعَتْهُ إليها به(١).

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ ﴾ [القصص:٧-٨]. إنَّ إرَادةَ الله ماضيةٌ في أنْ يبقى موسى حيًا يبلِّغُ رسالةَ ربهِ ويقضي على الكفرِ والطغيانِ. وها هُوَ يتربَّى في بيتٍ من يُريدُ قتلَهُ ليكونَ له عدوًّا وحزَنًا، وأنَّ اللهَ ألْهَمَ أُمَّ موسى هذا الصنيعَ وبشَّرها بسلامتهِ، وليس هذا من وَحْيِ النبوةِ كما يقولُه ابنُ حزمٍ وغيرُهُ من المفسرين، بلْ هو من نوعِ إلهامِ اللهِ للنحلِ بأن تصنعَ لها في الجبل بيوتًا(٢)، وقد قذفَ اللهُ محبَّةَ موسى في قلبِ امْرَأةِ فرعونَ لتمنعَ زوجَها مِنْ إنفاذِ أمرِه: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [القصص:٩] قالَ بعضُهُم: لو قالَ فرعونُ: (قرةُ عينٍ لي) لهداهُ اللهُ بهِ إلى الإسلامِ كما هدَى آسيةَ، ولكن رفض ذلك فلم يَسْعَدْ ولم

(١) البداة والنهاية لابن كثير (١/ ١٥٧-١٥٨-١٥٩) بتصرف واختصار، تحقيق محمد عبد العزيز النجار مطبعة النجالة الجديدة بمصر.

(٢) (المحقق): أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٤١) برقم (١٦٦٨١) قال حدثنا محمد بن يحيى أنبأنا العباس ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ وحيًا جاءها من الله، قذفَ في قلبها وليس بوحي نبوة.

يهتدِ بل بقي شقياً(١)(٢).

الأمر الثالث: (حفظُ اللّه له وإرضاعهُ).

لقدْ تقدَّمَ الكلامُ بأنَّ اللهَ أوحَى إلى أمِّ موسى بعدَمِ الخوفِ عليهِ كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ الآية تقدمَتْ، ولكنَّ الأمَّ الحريصة على سلامتهِ أخذَتْ بأسبابِ النجاةِ، فقالتْ ـ عندمَا أرسلَتْهُ في البحرِ ـ لأختهِ راقبي مسيرتَهُ وانظري أينَ يذْهب، كما يُحدثنا اللهُ عنها في القرآن ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص:١١]، عَرَفَتْ أختهُ أنه دخلَ في بيتِ فرعونَ وأنهُ عُرِضَ عليه المراضعَ فأبى عن رضَاعتهنَّ، وقالتْ الأختُ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص:١٢] وأنَّ القُدْرَةَ الإلهية النافذة في الخلْقِ، السالمة من المعارضةِ التي تدل أنَّ الخلقَ لم يفْعلوا شيئًا إلا بإرادةِ الله وأنَّ جَميعَ الخلقِ لو اجتمَعُوا على مَضَرَّةِ إنسانٍ لَمْ يَسْتَطيعُوا كمَا أنَّهُم لو اجْتَمَعُوا على نفْعِهِ لَمْ

(١) النبوة والأنبياء ـ لمحمد علي الصابوني ـ الطباعة على نفقة الشربتلى ص١٧٠.

(٢) (المحقق): وأخرج ابن جرير الطبري (٢٠/ ٣٤) في تفسيره قال: حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن يزيد قال ثنا القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أَتَتْ بموسى امرأةُ فرعونَ فرعونَ قالت قرة عين لي ولك، قال فرعون يكون لك، فأمَّا لي فلا حاجة لي فيه، فقال رسول الله ﷺ: والذي يُحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله به كما هدى به امرأته؛ ولكن الله حرَمَهُ ذلك.

يَسْتطيعُوا إذا لَمْ يُرِدِ اللهُ ذلكَ. وإنَّ قصةَ موسى لَمِنَ العجائبِ العظيمَةِ التي لو تأمَّلَهَا الرؤساءُ والملوكُ لما وضعُوا الحرَّاسَ على الأبوابِ مَخَافَةَ الاغتيالِ، ولما اشتُرِيَتِ السياراتُ المضادةُ للرصاصِ(١). إن طفلاً كمُوسى لا يستطيعُ حماية نفسهِ وليسَ له من يُدافعُ عنه من قريبٍ أو بعيدٍ ما عدا عنايةُ الله التي جعَلَتِ الحريصَ على قتلِهِ يلتمسُ له المراضعَ وينفقُ عليهِ من مالِهِ الخاصِّ، وهذا ما يَذْكُرُ فرعونُ عندما جاءه موسى يدعُوهُ إلى الله يقول له: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء:١٨]. إنَّ أقربَ الناس محبةً لموسى هيَ أمُّهُ؛ لم تستطع أن تفعلَ شيئًا إلا أنَّها تُلقيه في اليّمِ وتبعثُ من يُراقبهُ من بعيدٍ. ولولا عنايةُ الله بها وتثبيتِ قلبهَا لأخبرتْ بهِ الناسَ، يقولُ الله عنها: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [القصص:١٠]. إنَّ الأختَ لَمَّا قالَتْ: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾، قال ابنُ عباسٍ: كُلَّما قالتْ ذلكَ أخذوهَا وشكُّوا في أمْرِهَا، وقالوا لَهَا وما يُدريكي بنصْحهم له وشفقتِهم عليه؟ فقالتْ لهم: نصحُهم له وشفقتهُم عليه رغبتُهم في سرورِ

(١) (المحقق):إن فعل الأسباب لا ينافي التوكل على الله تعالى، قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: (والتوكل هو الاعتماد على الله - سبحانه وتعالى - في حصول المطلوب، ودفع المكروه، مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٢/ ١٨٥).

الملكِ ورجاء منفعته. فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معهَا إلى منزلِهم فدخلوا بهِ على أمِّهِ فأعطتْهُ ثديهَا فالتقمَهُ ففرحُوا بذلك فرحًا شديدًا، وذهبَ البشيرُ إلى امرأةِ الملكِ فاستدْعَت أمَّ موسى وأحسنتْ إليها وأعطتها عطاءًا جزيلاً. وهي لا تعرف أنها أمُّهُ في الحقيقةِ، ولكن لكونهِ وافقَ ثديهَا، ثم سألتْهَا آسيةُ أنْ تقيمَ عندهَا فترضِعَهُ فأبَتْ عليْهَا، وقالتْ إنَّ لي بَعْلاً وأولادًا ولا أقدر على المقام عندكِ، ولكنْ إنْ أحببتِ أنْ أرضعَهُ في بيتي فعلتُ، فأجابتها امرأةُ فرعونَ إلى ذلك وأجرتْ عليها النفقةُ والصِّلاةُ والكسَاوي والإحسانُ الجزيلُ، فرجعتْ أمُّ موسى بولدهَا راضيةً قد أبدلها اللهُ بعد خوْفِهَا أمنًا في عِزٍّ وجاهٍ ورزقٍ دارٍّ. ولهذا جاءَ في الحديثِ: **{مثلُ الذي يعمل ويحتسبُ في صنعتهِ الخيرَ كمثلِ أم موسى ترضعُ ولدهَا وتأخذ أجرهَا}**[1][2]. وهذا معنى قول الله:

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨١-٣٨٢) طبعة دار الكتب العربية.

(٢) (المحقق): الحديث جاء بلفظ {مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون الجعل يتقوَّوْنَ بهِ على عدوهم مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها}، أخرجه البيهقي (٩/ ٢٧) ط دار الباز، وابن أبي شيبة في مصنفه (رقم١٩٥٣٢) ٤/ ٢٢٨، وأبو داود في المراسيل ١/ ٢٤٧ ط الرسالة، وأخرجه ابن عدي الكامل (١/ ٢٩٥) ط دار الفكر، بلفظ: {مثل الذي يحج من أمتي عن أمتي كمثل أم موسى ﷺ كانت ترضعه وتأخذ الكراء}. وقال: (وهذا الحديث وان كان مستقيم الإسناد فإنه منكر المتن ولا أعلم من رواه عن ابن عياش غير سليمان بن أيوب الحمصي).

وقال المناوي في شرح الجامع الصغير(٢/ ٣٧٢) ط.الشافعي:(مستقيم الإسناد منكر المتن).

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[القصص:١٣]، لقد أُلقيَ موسى في البحرِ ولكن لا يغرق، وأُدخلَ في بيتِ الجلادين ولكن السيفَ لا يقتل، وصدق الله إذ قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩].

الأمر الرابع: (نشأته عليه السلام).

وقد بيَّنها الله كما بين حالَ فرعون وعلوِّهُ، واستضعافَه للناس، وتقتيلَه لأبنائهم، وعاقبةَ موسى ونهايةَ فرعون في قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾[القصص:١-٦].

إن الحلقةَ الأولى من قصةِ موسى، والظروف القاسية التي وُلِدَ فيها، وتجرده في طفولته من كل قوة ومن كل حيلة، وضعف قومه واستذلالهم في يد فرعون؛ ذلك كله هو الذي يؤدي هدف السورة الرئيسي، ويُبْرز يد القدرة[١]

(١) (المحقق): سبق أن بينت في منهج المؤلف أنه ينقل من المصادر بالنص ثم يعزو في الأخير. وعبارة "يد القدرة" هنا هي من كلام سيد قطب لا من كلام المؤلف، وهي عبارة لا يجوز إطلاقها على صفة القدرة لله تعالى، وسيتكرر نقل المؤلف لكلام سيد قطب وفيها هذه العبارة، فوجب التنبيه.

سافرة متحدية، تعمل وحدها بدون ستار من البشر، وتضربُ الظلم والطُّغيان والبغي ضربةً مباشرةً عندما يعجز عن ضربها البشر، وتنصر المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة، وتُمكِّن للمؤمنين الذين لا حيلةَ لهم ولا وقاية؛ وهو المعنى الذي كانت القلةُ المسلمةُ المستضعفَةُ في مكة في حاجةٍ إلى تقريرها(١). ولقد كانت قصة موسى عليه السلام تبدأ غالبًا في السور الأخرى من حلقة الرسالة لا من حلقة الميلاد. حيث يقف الإيمان القوي في وجه الطغيان الباغي، ثم ينتصر الإيمان وينخذِلُ الطغيان في النهاية. أمَّا هنا فليس هذا المعنى هو المقصود، إنَّما المقصود أنَّ الشرَّ حين يتمحَّصُ يَحملُ سببَ هلاكه في ذاته، والبغي حين يتمرَّدُ لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر، بل تتدخل يدُ القدرةِ، وتأخذ بيدِ المستضعفين المعتدَى عليهم، فتنقذهم وتتفقَّدُ عناصر الخير فيهم وتُربيهم وتجعلُهم أئمةً وتجعلهم الوارثين(٢).

إنَّ قصةَ موسى عليه السلام ونشأتَهُ الأولى تدعو إلى الإيمان بالله، وأنَّ قدرة الله لا غالب لها. فالرجلُ الذي حاول قتلَهُ في طفولته يجعلُه الله منفقًا على إرضاعه وكفالته، وأنَّ إرادةَ الإنسانِ ومشيئتَهُ مقرونةٌ بإرادةِ الله وقدرته، وأنَّ المكرَ السيءَ لا يحيقُ إلا بأهلِهِ، وصدَقَ اللهُ حين قال ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:٥٤]. فقد ظهرَ عجزُ فرعون

---

(١) (المحقق): أي في بداية بعثة محمد ﷺ في مكة.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٢١) الطبعة السادسة.

وحيلتهِ وحذَرِهِ عن دفْعِ القدَرِ المحتومِ والقضاءِ النافذ. عجزَ عن قتلِ طفلٍ رضيعٍ لأنَّ اللهَ أرادَ بقاءَهُ ليكونَ لفرعون عدوًا وحزنًا.

ونشأةُ موسى الأولى يُحيط بها شيءٌ من الغموض. هل قضى حياته الأولى في بيت فرعون أو خارجه؟. الخلافُ طويلٌ ولكننا نرى تربيتَهُ في بيت فرعون استنادًا لقوله تعالى ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء ١٨]. وحين بلغ موسى الأشدَّ؛ قيل الأشد ما بين ثمانيةَ عشر إلى ثلاثين سنة وقيل الأشد ثلاث وثلاثين سنة[١]، واستوى أي بلغ أربعين سنة قاله ابن عباس، وقيل انتهى شبابه وتكامل[٢].

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [القصص:١٤]، أي عقلاً وفهمًا في الدين، فعلم وحكم موسى قبل أن يبعث نبيًا.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[القصص:١٤] ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ ﴾ [القصص:١٥]، يعني موسى، والمدينة قيل هي منفى من أعمال مصر[٣]، وقيل

(١) (المحقق): انظر الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٣٩٧) ط الفكر، وفي تحديد سن الأشد أقوال لأهل العلم، انظر تفسير الطبري (٨/ ٨٥) ط الفكر، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الأشد إذا بلغ أربعةً وثلاثين عامًا، انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢).

(٢) (المحقق): أثر ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم١٦٧٤٤)، وعن أبي قبيصة رضي الله عنه في قوله بلغ أَشُدَّهُ واستوى يعني بالاستواء خروج لحيته، تفسير ابن أبي حاتم (رقم١٦٧٤٥).

(٣) (المحقق): وهو قول ابن جرير الطبري (٢٠/ ٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم١٦٧٥٤).

هي قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر، وقيل هي مدينة عين شمس[١]. ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص:١٥] قيل هي نصف النهار واستقبال الناس بالقيلولة، وقيل دَخَلَ بين المغرب والعشاء[٢]، وقيل سبب دخول المدينة في ذلك الوقت لها أنَّ موسى كان يُسمَّى ابن فرعون، وكان يركب في مراكب فرعون، ويلبس لباسَهُ، فركب فرعون يومًا وكان موسى غائبًا، فلما جاء قيل له إن فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره، فأدركه المقيل بأرض منفى فدخلها وليس في أطرافها أحد[٣]. وقيل كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به، فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه، فخالفهم في دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفًا مستخفيًا على حين من أهلها. وقيل لما ضرب موسى فرعونَ بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله، قالت امرأته هو صغير فتركه، وأمر بإخراجه من مدينته، فأُخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل[٤] ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

---

(١) (المحقق): نصَّ على هذا الرأي البغوي في تفسيره معالم التنزيل (٦/ ١٩٦)، وأبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم (٧/ ٦) والآلوسي في روح المعاني (٢٠/ ٥٣).

(٢) (المحقق): وكلا القولين قال بهما ابن عباس،انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٣).

(٣) (المحقق): أخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره (رقم١٦٧٥٤) قال حدثنا أبو زرعة ثنا عمرو بن حماد ثنا أسباط عن السدي إن فرعون ركب مركبًا.. الحديث.

(٤) (المحقق): انظر نسبة هذه الأقوال عند الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٣-٤٤).

عن ذِكْرِ موسى، ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به. وعن عليٍّ أنه كان يوم عيدٍ لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم[١]. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أي يتخاصمان ويتنازعان، ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي من بني إسرائيل، ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي من القبط[٢]. وقيل هذا مؤمن وهذا كافر، وقيل الذي كان من الشيعة هو السامري[٣] والذي من عدوه هو طبَّاخُ فرعون واسمه فاتون[٤]. وكان القبطي يريد أن يأخذ الإسرائيلي ليُحمِّلَهُ الحطب، وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع، وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم، فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والأخر من القبط ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ يعني الإسرائيلي ﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ يعني الفرعوني، والاستغاثة طلب الغوث، والمعنى أنه سأله أن يُخلِّصَهُ منه وأن ينصرَهُ عليه فغضب موسى واشتدَّ غضبُهُ لأنهُ أخذهُ وهو يعلم منزلةَ موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، ولا يعلم الناس

(١) (المحقق): لم أجد تخريج أثر علي رضي الله عنه.

(٢) (المحقق): قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق، انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٣).

(٣) (المحقق): السامري رجلٌ من قومٍ يعبدون البقر، وهو ليس من بني إسرائيل إنما جارٌ لهم. الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٥٧٦).

(٤) (المحقق): انظر الدر المنثور (٦/ ٣٩٨).

إلا أنه من قبل الرضاعة. فقال موسى للفرعوني خلِّ سبيلَهُ فقال إنما أخذتهُ ليحمل الحطبَ إلى مطبخ أبيك، فنازعه، فقال الفرعوني لقد هممتُ أن أحملَ عليك. وكان موسى قد أُوتيَ بسطةً في الخلق وشدة في القوة، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي ضربه بجميع كفِّه، وقيل الوكز الضرب في الصدر، وقيل الوكز الدفع بأطراف الأصابع[(١)] ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[(٢)]. والذي يظهر من هذا التفسير أنه يعتمد كثيرًا على أخبار بني إسرائيل بدون تحرُّج[(٣)]، كما تبين لنا حدة موسى عليه السلام وسرعة غضبه، ورغبته في دفع الظلم عن الضعيف، وسرعة رجوعه إلى الله وطلبه المغفرة، وهذا من علامات الإيمان، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

---

(١) (المحقق): قال في لسان العرب (٥/ ٤٣٠): ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾، وقيل: وَكَزَه أي ضربه بجُمْعِ يده على ذَقَنِه وفي حديث موسى عليه السلام: {فَوَكَزَ الفِرْعَوْنِيَّ فقتله أي نَـخَسه}.

(٢) تفسير لباب التأويل في معالم التنزيل لعلي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن. المطبعة البهية بمصر (٣/ ٤٧٤-٤٧٥)، بدون تاريخ الطباعة.

(٣) (المحقق): يقصد المؤلف بذلك تفسير الخازن، كما سبقت الإشارة إليه في الحاشية السابقة، وفي هذا الرأي للمؤلف نظر، حيث إن إكثار الخازن من الإسرائيليات لا يعني الاعتماد عليها، ولم يكن وحده الذي ملأ تفسيره بالإسرائيليات من بين المفسرين، وينظر في هذا ما كتبه الدكتور عيادة الكبيسي عن تفسير الخازن في رسالةٍ صغيرة له.

الفصل الثاني: موقف موسى مع شيعته وعدوه وافتضاح أمره.

ويحتوي على ثلاثة أمور:

الأول: لقد تقدمَ أنَّ موسى عليه السلام أخذته الحميَّةُ ونصرةُ المظلوم، إلا أنه عمل عملاً لا يريده، وقد وقع منه بغير قصْدٍ، وقد اعترف بظلمهِ لنفسهِ وطلب المغفرة من ربه ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾، وها هو يُعلنها توبةً ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[القصص:١٧].

وقد ضاقتْ به الأرضُ بما رحُبَتْ وأخذَ يجولُ والخوفُ يملأ جوانِحَهُ. لقد تاب فيما بينه وبين الله، لكن ماذا يصنعُ بالناسِ الذين يبحثون عن قاتلِ هذا الإنسان؟ ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص:١٨-١٩]. وإنه ليقع حينما يشتد الظلم ويفسد المجتمع وتختل الموازين ويُخيِّمُ الظلم؛ أن تضيقَ النفسُ الطيبةُ بالظلمِ الذي يُشكِّلُ الأوضاعَ والقوانينَ والعُرفَ، ويُفسدُ الفطرةَ العامةَ، حتى ليرى الناسُ الظلمَ فلا يثورون عليه، ويرون البغيَ فلا تجيش نفوسهم لدفعه، بل يقع أن يصل فساد الفطرة إلى حد إنكارِ الناس على المظلوم أن يدفع عن نفسه ويقاوم، ويُسَمُّون من يدفع عن نفسه أو غيره ﴿جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، كما قال القبطيُّ لموسى. ذلك أنَّهم ألفوا رؤية الطغيانِ يبطشُ وهم

لا يتحركون حتى وهموا[1] أن هذا هو الأصل[2]. وبينما موسى كذلك إذ هو برجلٍ يسعى ويقول ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠]، فعرف موسى أن الأمر قد افتضح، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص:٢١].

الأمر الثاني: خروج موسى من مصر إلى أرض مدين.

بعد أن عَلِمَ موسى بافتضاح أمره، وأنَّ الملأ حريصون على قتله، خرج من مصر مُتجهًا إلى أرض مدين طالبًا من الله الهدايةَ إلى سواء السبيل. ولمَّا قصد ماءها ليروي ظمأَهُ وجدَ عندهُ حشدًا من الناس قد تزاحموا عليه، بشدَّةٍ، كلٌّ منهم يعتمد على قوتِهِ في التقدم والمسابقة إلى الحوض. ورأى على مقربةٍ من الماء فتاتين تهُشَّانِ غنمَهُما لئلاَّ تقرب من الماء[3]. رأى موسى هذا المشهد فعجب لأمرهما، وتقدم وسألهما عن شأنهما فأجابتا: أتينا لنسقي

---

(١) (المحقق): لعل الأفصح توهَّموا.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٣٢).

(٣) (المحقق): اختلف أهل التأويل في معنى ذود الفتاتين، فقال فريق تذودان غنمهما حتى يفرغ البئر، وقال آخرون تذودان الناس عن غنمهما، ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٦) ثم قال: (وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معناه تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لدلالة قوله ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء). وقال ابن كثير (٣/ ٣٨٤): (أي تكفكفان غنمهما أن ترد غنم أولئك الرعاء).

غنمنا ولكن لشدة الزحام لن نستطيع السُّقيا حتى ينصرفَ الرعاة. هذا الجواب يدل على ما في الأنثى من ضعف وحياء يدفعانها إلى التخلُّفِ في مثلِ هذهِ المواقف التي يكثر فيها التزاحم وتختلط فيها النساء بالرجال، ثم تضيق الفتاتان في تعليل ذلك قولهما ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[القصص:٢٣]. إنهما تريدان استثارة الرحمةِ والشفقةِ في قلب موسى. ثارت حميةُ موسى، وسقى لهما غنمهما ولم يقدِر أحدٌ على منعهِ؛ لأنهم رأوا من قوَّتِهِ وصلابته ما منعهم من مقاومته. ثم اتجه بعد ذلك إلى الظلِّ منهوكَ القوى ليستريحَ شاكرًا ربَّهُ قائلاً ربي إني فقيرٌ لكل ما قدمت إليّ من خير[1]، وهذا ما قصَّهُ اللهُ في كتابه حين قال: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص:٢٣-٢٦]. هذه بداية الرحلة الميمونة والتي بدأت أول ما بدأتْ به نصرةُ المحتاج، ومساعدة الضعيف. وموسى لم يكن معه زادٌ ولا

---

(١) مع الأنبياء في القرآن لعفيف عبد الفتاح طبارة ص٢٢٢، ٢٢٣ ، الطبعة التاسعة آذار ١٩٨١م. دار العلم للملايين.

مالٌ، ولكنَّ الله مع عبده ما دام عبده معه. إنَّهُ في أول رحلته طلب ربَّهُ وأظهر فقره ولم يعتمد على حيله وقوته ولا على ماله ورجاله، ورجلٌ كهذا لم يفتخر بقوته؛ جديرٌ بنصرة ربه وحمايته. وفي شأن سقيِ موسى للغنمِ قال المفسرون: إن الرُّعاءَ كانوا إذا فرغوا من وردهم، وضعوا على فم البئر صخرةً عظيمةً فتجيءُ هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما في فضل أغنام الناس، فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده، ثم استقى لهما وسقى غنمهما، ثم ردَّ الحجر كما كان. قال أمير المؤمنين عمر: وكان لا يرفعه إلا عشرة[1]. بكَّرَتِ الفتاتان بالرجعة إلى أبيهما الشيخ على غير عادةٍ؛ فسألهما الخبر فأخبرتاه. وقد استجاب الله استرحام موسى فحنًّا عليه إذ أَلْهَمَ الشيخَ أن يُرسلَ في طلبهِ إحدى ابنتَيْهِ، فجاءتهُ الفتاةُ مستحيةً متخفِّرةً[2]، فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥]. تَبِعَ موسى الفتاةَ إلى بيت أبيها استجابةً للدعوةِ[3]، فنزلَ صدرًا رحبًا وآنسَ حرمًا آمنًا. ثم

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٦٣) في التاريخ تحقيق محمد عبدالعزيز النجار مطبعة الفجالة الجديدة.

(٢) (المحقق): أخرج الطبري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: مستترة بكُمِّ درعها أو بكُمِّ قميصها، وقال أيضًا: واضعة يدها على وجهها مستترة (٢٠/ ٦٠).

(٣) (المحقق): أخرج الطبري (٢٠/ ٦١) بسنده قال: حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا قال قال مطرف: أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما تتبع مذقيهما ولكن إنما حمله على ذلك الجهد.

قصَّ عليه قصَصَهُ وأفضى إليه بمكنونِ سرِّهِ، فطمأنَهُ الشيخُ، وقال ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٢٥]. هدأتْ نفسُ موسى في منزل الشيخ الكريم، وسكنتْ إلى صحبتهِ، ولا يدعُ فتورَ الإيمانِ يتلألأُ في كلا القلبين، وفيضُ الإخلاصِ يتفجَّرُ من كلا الرجلين، وشبهُ الشيءِ منجذبٌ إليه. ولقد كان موسى كريمًا فتيًّا، آثر في نفسِ الشيخ وبنتيهِ عواملَ الإكبارِ والإعجابِ لما زانهُ اللهُ به من طبْعٍ قويمٍ وخُلُقٍ كريمٍ، فتحرَّكَ في نفسِ الفتاة حُبُّ الاستظهار بموسى وقوَّتهِ والإبقاءِ عليه لطهارتهِ وأمانتهِ فقالت ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، أوليسَ هو الذي أقلَّ الغطاء عن البئر منفردًا؟، مع صعوبة حمله على ما كان به من تعب وهزال، أوليس هو العفُّ الطاهرُ الذيلِ الذي أطرقَ برأسهِ حينما بلَّغَتْهُ رسالةَ أبيها؟، واستدعته إليه فسار أمامها وسارت خلفه وفاءًا لحقوق الطهارة، وحتى لا تَمْتَدُّ عينهُ إليها فيكونَ من الخائنين. لقد وافق الشيخ على مقالة ابنته واستأجر موسى، فقال: يا موسى إني لراغبٌ في أنْ أُزَوِّجَك إحدى ابنتي هاتين على أن تكون عونًا لي وظهيرًا، أجيرًا ترعى الغنم، وتقومَ بنصرتي ومُساعدتي ثماني حِجَجٍ، وإنْ زدتها فتلك مِنَّةٌ جليلةٌ أرجوها منكَ ولا أُحَتِّمُهَا عليكَ، وسأكونُ لك إن شاء اللهُ من الأوفياءِ المخلصين(١).

(١) قصص القرآن لمحمد أحمد جاد المولى، المكتبة الأموية، بيروت ١٣٩٨هـ ص١٤-١٦.

الأمر الثالث: (زواج موسى عليه السلام).

لقد تقدَّم البحث عن سَقيِ الغنمِ ومعرفة الشيخ لموسى وعرضهِ عليه الزواجَ بإحدى ابنتَيْهِ، لِمَا عرفَهُ من القوَّةِ والأمانةِ، وأنَّ موسى الشريد ليس معه مالٌ. لكن معه ما هو أغلى من المالِ؛ الأمانة التي حبَّبَتْهُ إلى القومِ وأصبحوا يخطبونه قبل أن يخطبهم. لذا أثَّر في نفس الشيخِ وبنتيه عواملُ الإعجاب، ولهذا قالت إحدى ابْنَتَيْهِ: يا أبتِ استأْجِرْهُ لرعْيِ ماشيتنا ليكفينا مؤنةَ هذا العمل، فهو قويٌّ وأمينٌ. وكأنَّ الشَّيْخَ قد فَطَنَ إلى المراد فأسرع إلى تحقيق رغبة ابنته، وطلب أن يخدمَهُ فيرعى له غنمَهُ ثمانيَ سنواتٍ نظيرَ أن يُزوِّجه بإحدى ابنتيه، وإن زاد المدة سنتين فتلك مِنَّةٌ جليلةٌ. فقبلَ موسى طلَبَ الشيخ على أنَّهُ بالخيار في أيِّ المدتين يخدم. وتَمَّ الاتفاق بينهما على ذلك[١]. ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾[القصص:٢٧-٢٨]. فتمَّ الزواجُ وقامَ موسى بأداءِ المهرِ حتى أكمَلَ المدةَ تسعَ سنين[٢]

---

(١) اليهود في القرآن الطبعة الرابعة لعفيف عبد الفتاح طباره ص٢٠٠.

(٢) (المحقق): أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ٦٨) بسنده عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: {**سألتُ جبرائيل أي الأجلين قضى موسى قال أتمهما**

=

قائمًا بشئون بيتِ شعيب. وهبَ له شعيب نتاجَ السنة العاشرة من الغنم، يريد بذلك مبرَّةَ موسى ومعاونتَهُ وصِلَةَ ابنته (صفورا) امرأة موسى. فكان نتاجُ هذه السنة عظيمًا، وعلِمَ شعيبٌ أنه رِزْقٌ ساقهُ الله لموسى وأهلِهِ وولدَيْهِ؛ ابني (صفورا)[1].

=

وأكملهما}. وبسنده عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال قضى موسى آخر الأجلين.

وفي رواية: أتمهما وأخيرهما.

(١) أحسن القصص (٢/ ٦٠) علي فكري دار الكتب العلمية ١٣٩٥هـ.

الفصل الثالث: خروج موسى من أرض مدين وما واجهه من مخاطر

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بداية الوحي.

إن نفس موسى مشتاقةٌ إلى بلدهِ ومسقطِ رأسهِ، وما برِحَ أن انتهتِ المدةُ، وانقض الأجلُ، حتى سار متوجهًا إلى مصرَ معه الأهل والأولادُ والغنمُ.

بلادٌ ألفناها على كلِّ حالةٍ وقد يُؤْلفُ الشيءُ الذي ليس بالحسَنْ

وتُستعذَبُ الأرضُ التي لا هوى بها ولا ماؤها عذبٌ ولكنَّها وطنْ

وقد حكا اللهُ قصةَ موسى وخروجه بعد إتمام الأجل بقوله ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ ﴾ [القصص:٢٩]. استأذن موسى شعيبًا في الانصرافِ من مدينَ والذهابِ إلى مصرَ، فأعطاهُ عصًا ذاتَ شعبتين في رأسها ومحجن في طرفها، وسلَّمَ إليه الأغنامُ. وسارَ موسى بأهله منفصلاً عن أرض مدين متجنبًا طريقَ المدن والعمران لئلاَّ يعلم به الناس فيصِلَ خبرُهُ إلى فرعون. وكان أكبرَ همِّهِ أن يُدركَ أخاهُ هارونَ ويُخرجَهُ من مصر. وبينما موسى يرعى غنمَه ومعه امرأته، ضلَّ الطريقَ وكانَ في الشتاءِ في ليلةٍ باردةٍ، وأراد أن يُورِيَ نارًا فقدَحَ زندَهُ فلم يأتِ بنارٍ فاشتدَّ به الأمرُ، وأخذ يبحثُ عن نارٍ[1]، فلم يجد شيئًا

---

(١) أحسن القصص علي فكري ص٦٠.

وضاقت عليه الأرض بما رحبت. البردُ شديدٌ؛ والجوُّ مظلمٌ؛ والأبناءُ صغارٌ؛ والطريقُ غير معروف، وقد فعل ما في وسعه، ولكن بدون جدوى، ولكن عناية الله لاحظته.

وإذا العنايةُ لاحظتْكَ عيونُها نَمْ فالمخاوفُ كلهنَّ أمانُ

عند ذلك بدأ الوحي وجاءَ أوانُهُ، فما بعد العُسرِ إلا اليسر، وهذه سُنَّةُ الله في الأولينَ يبتليَهُم بالبأساءِ والضَّرَّاءِ لعلهم يضَّرَّعُون.

إنَّ موسى عليه السلام وهو مسافرٌ بأهلِهِ يحتاجُ ما يحتاجه المسافر من إدفاء جسْمِهِ وإصلاح طعامِهِ لأنَّ اللهَ جعلَ النَّارَ تذكرةً ومتاعًا للمُقْوِين.

وفي أثناء البحث والتنقيب رأى نارًا ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾[طه:١٠]. قال غير واحد من المفسرين من السَّلَفِ والخلفِ: لمَّا قصَدَ موسى تلكَ النار التي رأها فانتهى إليها، وجدَهَا تَأَجَّجُ في شجرةٍ خضراءَ من العوْسَج[١]. وكلُّ ما لتلك النار في اضطرام، وكل ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد، فوقف متعجبًا وكانت تلك الشجرة في لخف[٢][٣] جبلٍ غربيٍّ منه عن يمينه كما قال

(١) (المحقق): قال في لسان العرب (٢/ ٣٢٤): (والعَوْسَجُ، شجر من شجر الشَّوْك).

(٢) اللخف: أصل الجبل.

(٣) (المحقق): قال في لسان العرب (٩/ ٣١٥): (اللَّخْف: الضرْب الشديد. لخفه بالعصا لخْفًا: ضرَبه... واللخاف: حجارة بيض عريضة رقاق، واحدتها لَـخْفة).
=

تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[القصص:٤٤]. وكان موسى في واد اسمه طوى، فكان موسى مستقبلَ القبلة، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب، فناداه ربه بالوادي المقدس طوى، فأمرَهُ أولاً بخلع نعليْهِ تعظيمًا وتكريمًا وتوقيرًا لتلكَ البقعةِ المباركةِ، ولاسيَّما في تلك الليلةِ المباركةِ. وعند أهلِ الكتاب أَنَّهُ وضعَ يده على وجهه من شِدَّةِ ذلك النور مهابةً له وخوفًا على بصره،ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلاً له ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص:٣٠]، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه:١٤]، ثم قال له مخاطبًا ومؤانسًا ومبينًا لهُ أَنَّهُ القادرُ على كلِّ شيء ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:١٧]، أيْ أَمَا هذهِ عصاك التي تعرفها منذ صحبتها؟ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه:١٨]، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه:١٩-٢٠]. وهذا فارقٌ عظيمٌ وبرهانٌ قاطعٌ على أنَّ الذي يُكلِّمَهُ؛ يقولُ للشيءً كنْ فيكون، وأَنَّهُ الفعَّالُ بالاختيارِ. وعندَ أهلِ الكتابِ أَنَّهُ سُئِلَ برهانًا على صدقِهِ عندَ من يُكذِّبَهُ من أهلِ مصرَ، فقال له الرَّبُ ﷻ ما هذه التي في يدك؟ قالَ عصاي،

=

وقال في مختار الصحاح (١/ ٢٤٨): (اللِّخَافُ بالكسر حجارة بيض رقاق واحدتها لَخْفة بوزن صحفة).

قال أَلْقِهَا إلى الأرض، فألقاها فإذا هي حيَّةٌ تسعى فهربَ موسى مِن قُدَّامِهَا، فأَمَرَهُ الرَّبُّ عز وجل أَنْ يَبْسُطَ يدَهُ ويأخذهَا بذَنَبِهَا فلَمَّا استمكنَ منهَا ارتدت عصا في يده[1]. إنَّ الغايَةَ من سؤالِ مُوسى هيَ تعرُّفُهُ على القدْرَةِ الإلهيَّةِ؛ هي تربيةُ روحِهِ، والاعتمادِ عليهِ وحدهُ لا شريك له. إنَّ اللهَ يريد من موسى أَنْ يُواجهَ السَّحَرَةَ ويُبْطِلَ مَا هُم علَيْهِ، ويواجهَ فرعونَ كما يُواجهَ بني إسرائيل. وهذه المواجهاتُ كلُّها تحتاجُ إلى تدريبٍ مُسبقٍ.

إنَّ موسى لم يكن في حسابِهِ في هذه الساعة إلا الإضاءَةَ لأهلِهِ وسلامتهم من الهلاك، وهو خائفٌ عليهم، وخائفٌ على نفسه، لأنه يذكر أنه قتَلَ نفسًا فيخافُ أَنْ يُؤخَذَ بثأرها؛ ولكن اللهَ يؤنسهُ ويزيل ما به من خوفٍ حين يُنادِيهِ باسْمِهِ أيا موسى، ويخبرهُ بأَنَّهُ ربُّهُ الأَعْلى، ويذكرهُ بنعَمِهِ السابقة ليزيد اطمئنانه حين يتلوا عليه امتنانه الماضي ليزيل ما به من خوف في المستقبل. ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه ٣٧-٤٠].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٦٧-٢٦٨).

المطلب الثاني: معرفة موسى للمعجزات.

إن إرادةَ الله القاضيةُ بإخراجِ موسى من مصر هذه المدة الطويلة، ثم عودته في هذه الأيام التي كمُلَتْ فيهَا قُوَاهُ وتجاربُهُ، واسْتطَاعَ مُشاهدةَ عصاهُ وهيَ حيَّةٌ تسْعى في وسَطِ الجوِّ المُضَاءِ، وهي فاغرةٌ فاهَا، ويُؤمَرُ بأخذها بدونِ حائل وتعودُ كما كانت، ويُشاهد اليَدَ الملامِسَةَ لجسمهِ تتغيَّرُ ثم تعود سالمةً بغير سوءٍ، إنَّ هذه وتلك لأكبَرُ تدريبٍ على الاعتمادِ على الله في مواجهةِ المخاطر. وإنَّ معالمَ الإيمان قد تمكَّنَتْ من نفسِ موسى عندمَا أمرَهُ اللهُ بأخْذِ الحيةِ وهيَ قائمةٌ تسعى ثم تعودُ سيرتها الأولى. ﴿يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٢٢]. من هنا عرَفَ موسى قُدْرَةَ الله ﷻ وأنَّهُ لا رادَّ لأمْرِهِ ولا مُعقِّبَ لحُكْمِهِ، وصَارَ يُصْغِي سمعَهُ لأمرِ الله. ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ اضربْ بعصاكَ البحرَ فيَسمعُ ويطيعُ ويقولُ في أحْرَجِ موقفٍ يواجهُهُ ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ إنَّ التجاربَ الماضية التي مرَّتْ بموسى من خوْفٍ وجوعٍ ووحدةٍ، وصبْرِهِ على المحن وتحمُّلِهِ للمشاق ونصْرَتهِ للمظلومِ، وإعانته للمحتاجِ وحفظهِ للعهدِ وما اتَّصَفَ بهِ من الأمَانةِ والقوَّةِ والإخْلاصِ في العمَلِ، ورعيهِ للغنمِ والصبرِ على إصلاحِهَا؛ إنَّ هذهِ وغيرها من التَّجَاربِ جديرٌ بصاحبها مواجهةَ الطُّغَاةِ أمثالَ فرعونَ وهامان وجنودهما.

المطلب الثالث: التوجُّهُ إلى اللهِ بالدعاءِ.

إنَّ معرفةَ موسى للمعجزاتِ ومكالمةَ الله له؛ مقدماتٌ لإرسالِهِ إلى فرعون وقومه. وإنَّ معرفةَ موسى لفرعونَ وبطشِهِ وطغيانِهِ وخوفِهِ من فرْطِهِ عليه جعلتْهُ يدعُو ربَّهُ أنْ يشرحَ صدرَهُ ليَتحمَّلَ ما يُواجهُهُ من صُعُوبات، ويُسهِّلَ عليه الأمرَ وأن يعينَهُ على البيانِ والإفصاح، وأن يَجْعَلَ أخاه هارونَ مساعدًا له في رسالتِهِ الشَّاقةِ، وأن يعينَهُ على عبادتِهِ. وقد أجاب اللهُ دعاهُ وأعطاهُ كلَّ ما سأل[1]. ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه:٢٥-٣٦].

ثم يُذكِّرُ موسى النِّعَمَ السابقةَ ويُعيدُ لهُ الذكرياتُ الماضيةُ، وأنَّ الذي حفظَهُ وهو صغيرٌ سيحفظُهُ وهو كبيرٌ. يُذكِّرُهُ بما صنعَتْهُ أمُّهُ، وحِفْظُهُ لهُ وهُوَ في البحرِ، وهو في بيتِ فرعونَ، وهو يُلقِي محبَّتَهُ في القلوبِ ليَسْلَم من القتلِ، وهو يُحرِّمُ عليهِ المراضعَ ليُرجعَهُ إلى أُمِّهِ، وهو يَقتلُ النفسَ ويحفظُهُ من القوم، ويعيشُ سنينَ في أرضِ مدين ثم يعود سالمًا؛ يتلو عليه هذه الذكرياتِ ليُشعرَهُ بالحفظِ والرعايةِ، وأنَّ الذي رعاهُ سابقًا سيَحْفَظُهُ لاحقًا. ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي

(١) اليهود في القرآن عبد الفتاح طباره ص٢٠٢.

ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ
عَيْنِيٓ (٣٩) إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ
تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ
مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه:٣٧-٤٠].

الباب الثاني

بداية رسالته عليه السلام

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: إعلان موسى عليه السلام بالدعوة:

أ- بدء الرسالة والحوار وتخويف فرعون مغبَّةَ العصيان.

ب- هزيمة فرعون وانتصار موسى عليه السلام وتحته ثلاثة مواقف:

الأول: مهاجمة فرعون وطلبه المبارزة.

الثاني: مواجهة السحرة.

الثالث: إيمان السحرة.

الفصل الثاني: عناد فرعون وقومه:

١- أنَّ الباطل لا يخلو من أعوان. ٢- محاولة قتل موسى.

٣- خبر مؤمن آل فرعون. ٤- ابتلاء آل فرعون.

٥- خروج موسى من مصر وهلاك فرعون.

الفصل الثالث: حالُ بني إسرائيل بعد هلاك فرعون:

المبحث الأول: ميعاد الله لموسى عليه السلام.

المبحث الثاني: كلام موسى مع ربه وعتابه لهارون والسَّامِرِيّ.

المبحث الثالث: عقاب بني إسرائيل ثم عفو الله عنهم.

الفصل الأول: إعلان موسى عليه السلام بالدعوة.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: بدءُ الرسالةِ.

بعد تأييدِ الله لموسى بالمعجزاتِ وإمدادهِ بأخيهِ هارونَ وأمرِهما بالاستقامةِ على طاعتِهِ، والاتخاذِ من البيوتِ قبلةً يؤدُّونَ الصلاة فيها، وبعد نهيهما عن الفتورِ والتقصيرِ في ذكرِ اللهِ وتبليغِ رسالتهِ؛ أمَرَهُمَا أن يذهبا إلى فرعونَ بالذاتِ لأنَّهُ هو الذي طغى، وأوصاهما أن يتلطَّفَا لهُ بالقولِ لعل ذلك يُلَيِّنُ من طبيعةِ طغيانهِ، ويصلا إلى قلبهِ بحُسنِ الكلامِ فيخشى الله. ثم أَمَرَهُمَا اللهُ أن يقولا لفرعونَ إنَّنَا رسولانِ من عندِ الله الذي أنت عبدٌ من عبيده، ولستَ إلهًا كما تدَّعِي فلا يَحُقُّ لك أن تأسُرَ بني إسرائيل وتسلبَهم الحريةَ، فأطلِقْ سراحَهم ليكونَ لهم الحريَّة في الانطلاقِ معنا إذا شاءوا وليس لك أن تعذبَهُم باستخدامهم في أشقِّ الأعمالِ، ونحن لدينا البيِّنة على أننا مكلَّفُون أن نبلِّغَكَ ذلك، والسلامُ والسعادةُ لمن اتَّبعَ الحقَّ وآمن بالله(١).

قال الله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا

---

(١) اليهود في القرآن عبد الفتاح طبارة ص ٢٠٣.

رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه:٤٢-٤٧]. استغربَ فرعونُ ذلك الغلامَ الذي تربى في بيتهِ يعترضُ طريقَهُ ويعارضُ مسيرتَهُ ويريدُ إفلات بني إسرائيل من يدهِ فماذا يا ترى يفعل فرعون والحالة هذه؟. إنَّ موسى عليه السلام استعمل أسلوبَ الحوارِ وأخذ يُصرِّحُ بدعوتِهِ ويُبيِّنُ صدقَ ما يقول. ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف:١٠٤-١٠٥].

بعد ذلك شرع فرعونُ يَمُنُّ ويُظهرُ فضلَهُ عليهِ بأنَّهُ تربَّى في بيتهِ، وهذا يقتضي أن يكونَ وَفِيًّا لهُ بعيدًا عن كلِّ ما يَغيظُهُ، ثم ذكَّرهُ فرعونُ بما اقترفَهُ من قتلٍ للرَّجُلِ الفرعوني، وأنَّ مَن ارْتكَبَ جريمةَ قتلٍ كانَ آثمًا بعيدًا عن رحمةِ ربهِ وليس جديرًا به أن يدَّعِي حَمْلَ الرسالةِ. فردَّ موسى على هذه المسألة بأنَّهُ لم يقصدْ قتلَ الفرعوني بل وكَزَهُ وكزَةً وهو جاهلٌ بأنَّها ستؤدِّي إلى الموتِ، وأضاف قائلاً: وقد خفتُ أن تعاقبوني على قتلٍ لم أقصده فخرجتُ من مصرَ فرارًا منكم، فوهبَ لي ربي بعدَ ذلك حكمةً واصطفاني لنبوته، ولم ينسَ أن يَرُدَّ على فرعون ما منَّهُ بهِ فأجاب: ولكن أيُّ نعمةٍ عليَّ وأنتَ قد استعبدْتَ بني إسرائيل؟ فإنْ كنتَ قد أسديتَ إليَّ نعمةً فقد لاقى قومِي منكَ الذلَّ والهوانَ، فإني أتألَّمُ لآلامهم وأُشفقُ لحالِهم(١).

---

(١) اليهود في القران المرجع السابق ص٢٠٤.

وقد حكا اللهُ ما قال ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء:١٨-٢٢].

ثم بدأ الحوار فيما يتعلق بالربوبية، فسأل فرعون موسى عن الربِّ الذي يدَّعِيه؟ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء ٢٣]، فقال موسى لفرعون وحاشيتِهِ ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء ٢٤] إن كنتم تُدْرِكُونَ سِرَّ القدرة الإلهية فيهما، فالتفتَ فرعونُ إلى من حولَهُ من أتباعِهِ مُظهِرًا العجبَ قائلاً(١): ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:٢٥-٣٧]. استمرَّ الجدالُ طويلاً واستعمل فرعونُ أسلوبَ التهديدِ بسجنٍ وإحضارِ السَّحَرَةِ ووعدَهُم

(١) اليهود في القرآن المرجع السابق ص٢٠٥.

بالجائزةِ إنْ هُم غَلَبُوا موسى، ولكن موسى بدَأَ يُخوِّفُهم بالله ووقوع العذاب إنْ هم استمرُّوا على التكذيب. ولم يَحْذَرُوا تخويفَ موسى لفرعونَ مغبَّةَ العِصْيَان. إنَّ موسى النبيَّ الكريمَ الذي يُحبُّ الهدايةَ للناسِ ولا يُريدُ أنْ يأخذَهُم اللهُ على غِرَّةٍ من أمرهم؛ أخذَ يُبيِّنُ لهم مغبَّةَ العصيانِ ويُخبرهُم بعاقبةِ أمرِهم إنْ هُم عزمُوا على مبارَزَتِهِ وعنادِهِ، فقالَ لهم ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه:٤٨]، ولما شَاهَدَ عزْمَهُم على جمع السحرة قال: ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ [طه:٦١]، ولكنَّهم عزمُوا على ذلك وبدتْ مُهاجَمَةُ فرعون.

المبحث الثاني: هزيمةُ فرعون وانتصارُ موسى عليه السلام.

وفيه ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: بعد عرضِ موسى ما لديهِ من المعجزاتِ على فرعونَ وقومِهِ، ثارَ الحَماسُ في نفوسِهِم، وظنُّوا أنَّها من جِنسِ مَا عندَهُم؛ فأخذُوا يشنُّونَ الهُجومَ ويطلبونَ المبارزةَ وتَحديدَ ميعادٍ يتبارَزُونَ فيهِ، يقولُ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه:٥٦-٥٩]. يخبرُ تعالى عن شقَاءِ فرعونَ وكثرةِ جهلِهِ وقلَّةِ عقْلِهِ في تكذِيبِهِ بآياتِ الله، واستكبارِهِ عن اتبَاعِهَا، وقولِهِ إنَّ هذا الذي جئتَ بِهِ سحرٌ ونحن نُعارِضُ بمثلِهِ. ثم طلَبَ من مُوسى أنْ يُواعدَهُ إلى وقتٍ معلومٍ ومكانٍ معلومٍ وكانَ هذا من أكبرِ مقاصد موسى عليه السلام أنْ يُظهرَ آياتِ الله وحُجَجِهِ وبراهينِهِ جهرةً بحضْرَةِ الناس، ولهذا قال: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ وكانَ يومُ عيدٍ من أعيادهم ومجتمعٍ لهم ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه:٥٩] أيْ أولَ النهارِ في وقتِ اشتداد ضياءِ الشمسِ، فيكونُ الحقُّ أظهر وأجْلا، ولَمْ يَطْلب أن يكون ذلك ليلاً في ظلامٍ كيْ ما يُروِّجُ عليْهم مُحالاً وباطلاً، بل طلبَ أن يكونَ نهارًا جهرةً لأنَّهُ على بصيرةٍ من ربِّهِ ويقينٍ بأنَّ الله سيُظهِرُ كلِمَتَهُ ودينَهُ

وإنْ رَغِمَتْ أنوفُ القبط(١).

الموقف الثاني: مواجهةُ السَّحرةِ، قالَ تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ [طه:٦٠]، فاجتمعَ السَّحَرَةُ عندَ فرعون فطلَبَ منهم أن يَجْمعُوا قواهم ويُوحِّدُوا هدفهُم ليُبطلوا بعزيمتهم سحر موسى، وأغرَاهُم بالمالِ والمنصبِ، وأن يَجعلهم من خاصَّتِهِ فيما إذا تَمكَّنُوا على موسى وغلبوه. ثم كانت النتيجةُ بعد تداولٍ بين السحرة أنْ طلَبُوا من موسى أنْ يُلْقِي ما مَعَهُ أو يَبدؤوا هم بالإلقاءِ اعتزازًا منهم بالنفسِ واعتقادًا بالغلبة(٢)، ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:١١٥-١١٦]، وقد وقف موسى خائفًا حينما شاهد الحبالَ والعصيَّ كأنَّها حيَّاتٌ تسعى كما حكا اللهُ حالَهُ بقوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [طه:٦٧]، إنَّهُ موقفٌ حرِجٌ، جَمْعٌ غفيرٌ بجانبِ الملك فرعون، ولم يكن مع موسى إلا عصاهُ وأخاهُ؛ قوتان غير متكافئتين(٣)، وسرعانَ ما جاءَ المددُ من السَّماءِ ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فيمتثلُ الأمرَ مسارعًا لأنَّهُ قد تعوَّدَ طاعةَ ربهِ وامتثالَ أمرِه فألقاها

(١) قصص الأنبياء لأبن كثير (٢/ ٤٢-٤٣).

(٢) النبوة والأنبياء للصابوني ص ١٧٧.

(٣) (المحقق): قال ابن كثير في سبب خوف موسى عليه السلام (٣/ ١٥٩): (أي خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقى ما في يمينه).

﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الأعراف:١١٧-١٢٢] تغير الموقف، وتنكَّر بعضُ القوم على بعض، آمن السحرةُ وتركوا المناصب وما وعدَهُم به فرعون من الأموال والقُرْبِ منه. فيا ترى ما عدد السحرة؟ قيل ثمانون ألفًا، قاله مُحَمَّدُ بن كعب[١]، وقيل سبعون ألفًا قاله القاسم بن أبي بَزَّة[٢]، وقال السُّدِّي[٣]

(١) (المحقق): انظر تفسير ابن أبي حاتم (رقم ٨٧٩٦). ومحمد بن كعب هو بن سليم بن أسد القرظي، ولد في آخر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى عن فضالة بن عبيد والمغيرة بن شعبة ومعاوية وكعب بن عجرة وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن يزيد الخطمي وعبد الله بن أبي طالب والبراء وجابر وأنس وغيرهم. قال العجلي مدني تابعي ثقة رجل صالح عالم بالقرآن. انظر (سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٥ ط الرسالة، تهذيب التهذيب٩/ ٣٧٣ دار الفكر).

(٢) (المحقق): انظر تفسير الطبري (٩/ ٢٠) وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٨). والقاسم بن أبي بزة اسمه نافع ويقال يسار ويقال نافع بن يسار المكي، روى عن أبي الطفيل وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وسليمان بن قيس وعطاء الخراساني وعدة، وروى عنه فطر بن خليفة وعمرو بن دينار وابن جريج وشعبة ومسعر وسعيد بن أبي هلال وحجاج بن أرطاة وهشام الدستوائي وآخرون. قال ابن معين والعجلي والنسائي ثقة، وقال ابن سعد قال محمد بن عمر توفي سنة أربع وعشرين ومائة بمكة وكان ثقة قليل الحديث. (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧٨).

(٣) (المحقق): قال في سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤): (السدي إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي. أحد موالي قريش =

بضعة وثمانون ألفًا[١].

وعن أبي أمامة تسعة عشر ألفًا[٢]، وقال محمد بن إسحاق خمسة عشر ألفًا[٣]، وقال كعب الأحبار اثني عشر ألفًا[٤]، وروى ابنُ أبي حاتم عن ابن

=

حدث عن أنس بن مالك وابن عباس وعبد خير الهمداني ومصعب بن مسعد وأبي صالح باذام ومرة الطيب وأبي عبد الرحمن السلمي وعدد كثير. حدث عنه شعبة وسفيان الثوري وزائدة وإسرائيل والحسن بن حي وأبو عوانة والمطلب بن زياد وأسباط بن نصر وأبو بكر بن عياش وآخرون. وورد عنه أنه رأى أبا هريرة والحسن بن علي. قال النسائي صالح الحديث وقال يحيى بن سعيد القطان لا بأس به وقال أحمد بن حنبل ثقة وقال مرة مقارب الحديث. وقال يحيى بن معين ضعيف وقال أبو زرعة لين وقال أبو حاتم يكتب حديثه وقال ابن عدي هو عندي صدوق).

(١) (المحقق): أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم ٨٨٠٠)، وكذلك في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٨): وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل.

(٢) (المحقق): أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٧٩٩و١٥٦٣٦): عن أبي ثمامة قال سحرة فرعون سبعة عشر ألفًا.

(٣) (المحقق): أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٦١٥)، وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٨). ومحمد هو بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني، رأى أنسًا وابن المسيب وأباسلمة ابن عبد الرحمن وروى عن أبيه وعميه عبد الرحمن وموسى والأعرج وعبيد الله بن عبد الله ابن عمر ومعبد بن كعب بن مالك ومحمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي والقاسم بن محمد ابن أبي بكر وغيرهم. وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري ويزيد بن أبي حبيب وهما من شيوخه والحمادان وشعبة والسفيانان وزهير بن معاوية وابن إدريس وهشيم وأبو عوانة. (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٤).

(٤) (المحقق): أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٦١٦)، وفي تفسير الطبري (٩/ ١٩).
=

عباس كانوا سبعين رجلاً، ورُويَ عنه أيضًا أنهم كانوا أربعين غلامًا من بني إسرائيل أمرهم فرعون أن يذهبوا إلى العرفاء يتعلمون السحر، ولهذا قالوا: ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:٧٣] وفي هذا نظر.

وحضر فرعون وأمراؤُهُ وأهل دولتهِ وأهل بلدته عن بكرةِ أبيهم وذلك أنَّ فرعون نادى فيهم أنِ احضُرُوا هذا الموقف العظيم، فخرجوا وهم يقولون ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ [الشعراء:٤٠]. فتقدم موسى عليه السلام إلى السَّحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه[1] فقال: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه:٦١].

الموقف الثالث: إيمان السحرة.

لما حصل اجتماع الناس في هذا اليوم العظيم يوم العيد وبدأ السحرة بإلقاء الحبال والعصي ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [الشعراء:٤٤]،

=

وكعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق،أدرك الجاهلية وأسلم في أيام أبي بكر وقيل في أيام عمر، روى عن النبي ﷺ مرسلا وعن عمر وصهيب وعائشة وعنه بن امرأته تَبيع الحميري ومعاوية وأبو هريرة وابن عباس ومالك بن أبي عامر الأصبحي،وذكره بن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام وقال كان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان. (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٣).

(١) قصص الأنبياء لابن كثير(٢ / ٤٣-٤٤).

ونظر موسى وإذا بهذه الحبال والعصي كأنها حيَّاتٌ وثعابين ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس:٨١-٨٢].

ويذكر المؤرِّخونَ(١) أنَّ موسى عليه السلام لما ألقى العصا انقلبت إلى حية عظيمة لها عنق طويلٌ وشكلٌ مفزعٌ هائلٌ حتى أنَّ الناسَ هربوا فزعًا منها. وقد أقبلت هذه الحية على الحبال والعصي فجعلت تَلْقَفُهَا في أسرع ما يكون والناس في فزعٍ واضطرابٍ وفي دهشةٍ واستغرابٍ، وكان أول من أذْعَنَ للحقِّ وأعلن إيمانه إنما هم السحرة الذين أتى بهم فرعون لينصروه ويتغلبوا على خصمه موسى عليه السلام.

آمن السحرة وسجدوا لله عز وجل وأقروا بالوحدانية له لأنهم أيقنوا أنَّ هذا ليسَ بسحرٍ ولا شعوذةٍ ولا زورٍ ولا بهتانٍ، وإنما هي آية من آيات الله الباهرة، أظهرها على يدِ رسوله موسى لتكون برهانًا على صدقهِ، وعرفوا أنَّ ذلك ليس بطاقةِ إنسان ولا قدرته، وإنما هي القوَّةُ الإلهيةُ التي تصنع العجائبَ فخروا لله ساجدين ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف:١٢١-١٢٢].

---

(١) (المحقق): هو مأثور عن ابن عباس وبعض التابعين، فقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٧٩٣): عن ابن عباس فألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون فلما رأها فرعون أنها قاصدة عليه خافها فاقتحم على سرير واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل.

علم فرعون أَنَّهُ لم يُعجز موسى، ولكنَّ موسى أعجزه فأراد أن يسْتُرَ هزيمتَه ويستعيد هيبتَهُ فقال للسَّحَرَةِ ـ وكان صاحب مكر وخداع[(١)] ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:٧١-٧٣] فوعدَ فرعونُ السحرةَ بالقتل والصَّلْبِ وتقطيعِ الأيدي والأرجلِ، واتَّهَمَهُم بالتآمر مع موسى. مع أنه يعلم علم اليقين أنَّ موسى لم يعرفهم ولم يجتمع معهم من قبل، لأنه كان مقيمًا في أهلِ مدين فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر؟. ثم إنَّ موسى لم يَجمعهم ولا علِمَ باجتماعهم وإنَّما استدعاهم فرعون من أنحاء البلاد ليُبطلوا دعوى موسى عليه السلام، ولكنَّ المقهور المقلوب يلتمس لنفسه العذرَ وإن كان لا يُغني أمام الحق شيئًا، أما السحرة فقد ثبتوا على الإيمان ولم يُبالوا بوعيدِ فرعون وتهديدِهِ بل صرخُوا في وجهه صرخةَ الإيمان والبطولة، مُتَحَدِّين لفرعونَ وبطشِهِ وجبروته ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾. قال سعيد بن جبير[(٢)]

---

(١) النبوة والأنبياء للصابوني (ص١٧٨).

(٢) (المحقق): سعيد بن جبير بن هشام الأسدي التابعي الجليل، روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن معقل وعدي بن حاتم وأبي مسعود الأنصاري وأبي سعيد =

وعكرمة(١) والقاسم بن أبي بزَّة(٢) والأوزاعي(٣) وغيرهم: لما سجد السَّحرة رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة تُهيأُ لَهُم وتُزخرف لقدُومهم ولهذا لم يَلْتَفِتُوا إلى تهويل فرعون وتهديدِهِ ووعيدِهِ(٤).

أقول إنَّ من خلال هذا المشهد يتبين لنا بوضوح أنَّ الإيمان إذا باشر النفوسَ وتمكنَ من القلوبِ؛ لن يستطيعَ أحدٌ أن يصُدَّ صاحبَهُ عن طريق

=

الخدري وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري والضحاك بن قيس الفهري وأنس وعمرو بن ميمون وأبي عبد الرحمن السلمي وعائشة وغيرهم، وعنه ابناه عبدالملك وعبدالله وأبو إسحاق السبيعي وحصين بن عبدالرحمن وسماك بن حرب وخلق. قتله الحجاج صبرًا سنة ٩٥هـ.(تهذيب التهذيب ٤/ ١١).

(١) (المحقق): عكرمة البربري أبو عبد الله المدني مولى ابن عباس وأصله من البربر كان لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة لعلي، روى عن مولاه وعلي بن أبي طالب والحسن بن علي وأبي هريرة وابن عمر وابن عمرو وأبي سعيد وعقبة بن عامر ومعاوية بن أبي سفيان وصفوان بن أمية وجابر ويعلى بن أمية وأبي قتادة وعائشة وغيرهم، مات سنة ١٠٤ وقيل ١٠٧ وقيل ١١١ .(تهذيب التهذيب).

(٢) (المحقق): في الأصل: القاسم بن أبي بردة، وقد سبقت ترجمته.

(٣) (المحقق): عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الفقيه، روى عن عطاء بن أبي رباح وقتادة وأبي النجاشي ونافع مولى ابن عمر والزهري ومحمد بن إبراهيم التيمي ومحمد بن سيرين ويحيى بن سعيد الأنصاري ويحيى بن أبي كثير وخلق. روى عنه مالك وشعبة والثوري وابن أبي الزناد وعبدالرزاق ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم. مات ١٥٨هـ. (تهذيب التهذيب ٦/ ٢١٧).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٩٨).

الحق مهما كانت النتائج، وأنَّ المؤمن يُبتلى على قدرِ إيمانِهِ ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:١-٣]. إنَّ السحرة بعد إيمانهم لم يعملوا شيئًا من العبادات، آمنوا في ساعةٍ، وقُتِلوا بعدها، لكنَّ صُمُودَهم على الإيمان جعلهم من الشهداء، وهذه من معالم الإيمان في دعوة موسى عليه السلام التي أثَّرَتْ في النفوس وصارت مضرب المثل في الآخرين.

الفصل الثاني: عناد فرعون وقومه.

ويشتمل على خمسة أمور:

الأمر الأول: أنَّ الباطل لا يخلو من أعوان ولكن العاقبة للمتقين. إنَّ حادثة إيمانِ السَّحَرةِ استثارت أصحابُ فرعون وصاروا يلومونه على ترك موسى وقومه يعبثون على حد زعمهم، ويعبدون غير إله فرعون ممَّا جعلهُ يَهمُّ بقتلِ الأبناءِ وتركِ النساء، وهذا ما قاله اللهُ عنهم ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٢٧]. ولكنَّ أصحاب موسى لما سمعوا مقالةَ فرعون ضجُّوا بالشكوى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٨].

إنَّ الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام لم تؤثر في قوم فرعون وهم يُشاهدونها عيانًا؛ لأنَّ اللهَ لم يُردْ هدايتَهم ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١]، وصدقَ اللهُ حين قال ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام:١١١].

الأمر الثاني: محاولة قتل موسى عليه السلام.

إنَّ معالمَ الإيمان تظهر عند ما يحصل الصراع بين الحق والباطل، وتكثر

الخصومةُ واللِّجاجُ بين مُغترٍّ بماله ورجالهِ، وبين معتمد على الله، لقد ضاقَ فرعونُ ذرعًا بموسى فأتمر وقومه على قتلهِ والخلاصِ من دعوتهِ ومن فسادهِ على زعمهم، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[غافر:٢٦-٢٧]. فأيُّ الفريقين أحق بالأمن؟ من اعتمَدَ على القوة المادية أو من اعتمد على القوة الإلهية؟.

لقد قيَّض الله لموسى من يُدافع عنه من آل فرعون وبينما هم في أخذ وردٍّ يُقلِّبون أوجهَ الرأيِ في سبيل الإقدامِ على قتلهِ؛ إذ دفعت المروءةُ رجلاً مؤمنًا من آل فرعون يكتُمُ إيمانه فدافع عن موسى دفاعًا مجيدًا، مبيِّنًا لهم أنَّهُ لا ينبغي أن يقتلوا رجلاً أن يقول ربي الله[1]. وهذه من بين أسباب حماية الداعي ودعوته حيث إن الله يقيِّض للدعوة من يدافع عن مسيرتها واستمرار وجودها في كل زمان ومكان.

الأمر الثالث: خبر مؤمن آل فرعون.

لقد عاذ موسى بربه عندما سمع تهديد فرعون له بالقتل. سمع الله مقالته؛ فهيَّئَ له رجلاً يدافع عنه، ويعرفهُ الخصم ليكون أدعى للسَّماع منه، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن

(١) مع الأنبياء، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٣٣.

يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ [غافر:٢٨-٣٠].

وهذا الرجل[١] هو ابن عم فرعون، وكان يكتم إيمانه عن قومه خوفًا منهم على نفسه. وزعم بعض الناس أنه كان إسرائيليًّا وهو بعيد ومخالفٌ لسياق الكلام لفظًا ومعنى والله أعلم. قال ابن جريج[٢] قال ابن عبَّاس لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا والذي جاء من أقصى المدينة، وامرأة فرعون رواه ابن أبي حاتم[٣]، وقال الدارقطني لا يعرف من اسمه شمعان - بالشين المعجمة - إلا مؤمن آل فرعون حكاه السهيلي[٤]. وفي تاريخ

---

(١) (المحقق): من هنا يبدأ نقل المؤلف من البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) (المحقق): هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، روى عن عطاء بن أبي رباح وزيد ابن أسلم والزهري وطاووس وابن أبي مليكة وعطاء الخراساني وعمرو بن دينار ومحمد ابن المنكدر ونافع مولى بن عمر وهشام بن عروة وموسى بن عقبة وإسماعيل بن أمية وأيوب السختياني. مات سنة تسع وأربعين ومائة وقال القطان وغيره مات سنة خمسين. (تهذيب التهذيب (٦/ ٣٧٥).

(٣) (المحقق): أخرجه في تفسيره (رقم ١٨٤٣١).

(٤) (المحقق): هو أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الأندلسي السهيلي ت٥٨١هـ، له التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، والروض الأنف في شرح غريب السير.

الطبري(١) أنَّ اسمه خير(٢) والله أعلم.

وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **{أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر}**(٣)، وهذا من أعلى مراتب هذا المقام، فإنَّ فرعون لا أشد جورًا منه وهذا الكلام لا أعدل منه، لأنَّ فيه عصمةُ نبي(٤). وقد خوَّفهم هذا الرجلُ المؤمنُ مغبَّةَ فعلِهم فذكر لهم يومَ الأحزاب، وهو ما حصل من عقوبةٍ في الدنيا(٥)، وخوفهم ما يحصل للعصاة في الآخرة فقال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [غافر:٣٢-٣٣].

---

(١) (المحقق): في الأصل الطبراني، والصحيح الطبري في تاريخ الرسل والملوك.

(٢) (المحقق): في تاريخ الطبري (١/ ١٦١): وكان اسمه فيما يزعمون حبرك.

(٣) (المحقق): أخرجه أبو داود (٤٣٤٤) والترمذي (٢/ ٢٦) وابن ماجه (رقم٤٠١١) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري وفيه عطية العوفي، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٥١ و٢٥٦) وابن ماجه (رقم ٤٠١٢) من حديث أبي أمامة وفي إسناده أبو غالب. وقد صحَّحَ هذا الحديث الألباني في الصحيحة (١/ ٢/ ٨٨٦ رقم٤٩١) وأخرجه أيضًا عبد بن حميد في مسنده (رقم٨٦٤).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٨٢).

(٥) (المحقق): قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٨٠) في الأحزاب: (أي الذين كذبوا رسل الله في قديم الدّهر كقوم نوح وعاد ثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد).

الأمر الرابع: ابتلاء آل فرعون.

إنَّ من كمال عدلِ الله تعالى أَنَّهُ لا يُعذب عبدًا من عبيده إلا بعدَ إنذارِهِ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، فقد أرسلَ اللهُ موسى إلى فرعون وقومِهِ ليُخبرَهم بما حاقَ بالأُمَمِ الماضيةِ، وأخبرَهم إن لم يؤمنوا فسيأتيهم مثلُ ما جاء غيرهم، ولما أخذتْ فرعونَ العزةُ بالإثم وعتا عن أمر الله تعالى، وتمادى في تكذيبِ موسى وإيذاءِ بني إسرائيل أمرَ الله تعالى موسى أن يُعْلِنَ [أمام] (١) فرعون وقومه بأنه سيوقع عليهم العذاب الشديد جزاء تكذيبهم وامتناعهم عن إطلاق بني إسرائيل، فكانوا كلما وقع عليهم العذاب جاءوا إلى موسى يطلبون منه أن يسألَ ربَّهُ أن يرفعَ عنهم العذاب ووعدوهُ بالإيمانِ وعدمِ إيذاءِ أتباعه المؤمنين؛ فإذا كشف الله عنهم ما نزل بهم عادُوا إلى طغيانهم وغدروا بعهدهم وتمَرَّدُوا على الله. وقد أرسلَ الله عليهم أنواعًا من العذاب وصنوفًا من البلاءِ، وكانت هذه بمثابةِ الإنذارِ لهم من اللهِ تعالى ليَعُودُوا إلى رُشدهم.

وأظهرُ هذهِ الآيات هي:

١- **القحط والجدب**، وهو الذي عبَّرَ عنه القرآن بالسنين.

٢- **النقص من الثمرات**.

٣- **الطوفان**، وهو كثرةُ الأمطارِ المتْلِفَةِ لِلزُّروع والثمارِ وهو مرويٌّ عن

---

(١) (المحقق): مابين المعكوفتين مني ليتم المعنى.

ابن عباس(١).

٤- الجراد.

٥- **القُمَّل**، وهو السُّوس الذي يُفسدُ الحبوبَ؛ وقيل هو القملُ المعروف(٢).

٦- **الضفادع**، وقدْ كثُرَتْ حتَّى نغَّصَتْ عليهم عَيْشَهُم؛ حيث كانت تسقط في أطعمَتِهم وأوانيهم.

٧- **الدم**، وهو من الآياتِ الواضحةِ، فقد استحالَ الماءُ لهم وكان لا يستقُونَ من بئرٍ ولا نهرٍ إلا انقلَبَ إلى دمٍ، وقيل الدَّمُ الذي ينزل من خياشيمهم؛ قاله غير واحد(٣).

٨- العصا.

٩- **اليد**(٤). قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء:١٠١]، بيَّنها اللهُ في الآياتِ التاليةِ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ

(١) (المحقق): أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم ٨٨٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله فأرسلنا عليهم الطوفان قال: مُطِروا بالليلِ والنهارِ ثمانية أيام. وأخرج أيضًا عن عائشة رضي الله عنها (رقم ٨٨٥٦-٨٨٥٥) أنَّ الطوفان الموت، ذكر أنَّه الوجه الأول.

(٢) (المحقق): وهو مرويُ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٧١).

(٣) (المحقق): انظر تفسير الطبري (٩/ ٣٥)، وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس (رقم٨٨٨٠).

(٤) النبوَّة والأنبياء لمحمد بن علي الصابوني (ص ١٨٠-١٨١) بتصرف واختصار.

بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٠-١٣٣]، فهذه العقوبات مقدماتٌ للهلاكِ النِّهائي، وقد أعذَرَ مَنْ أنذَر، وصدقَ الله حين قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٤-٩٥]. هذه العقوباتُ التي حصلت لفرعونَ وقومِهِ في الدنيا[1]، وأمَّا في الآخرة فقد أخبرَ اللهُ عن مصيرِهِم بقوله ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

الأمر الخامس: خروج موسى من مصر وهلاك فرعون.

لقد تقدَّمَ أنَّ فرعونَ تمادَى في الغيِّ والطغيانِ وقد ابْتَلاهُ اللهُ بالنعمِ، وعرفَ أنَّهُ ليس أهلاً لها، ثم ابتلاه بالنِّقَمِ والآفاتِ ولم تؤثِّر فيهِ وعُرِضَتْ

(١) (المحقق) أخرج ابن أبي حاتم (رقم ٨٨٨٥) بسنده عن ابن عباس قال وكانت آياتٌ مفضلات بعضها على إثر بعض لتكون لله الحجة عليهم فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم الله في اليم.

عليهِ البيِّناتُ التي جاء بها موسى؛ ولم يؤمن بها وأيضًا لم يترك طريقَ موسى بل حاولَ القضاءَ عليْهِ حيث أرسَلَ إلى المدائن يجمعهم للقضاءِ عليهِ كما يحدثنا الله بقوله: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ [الشعراء:٥٣-٥٦]. أعلمَ اللهُ موسى ما كانَ من أَمْرِ فرعونَ فأوْحَى إليهِ أنْ يَخْرُجَ من مصر فارًّا بقومِهِ ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الدخان:٢٣]. وفي الصباحِ الباكرِ خرجَ فرعونُ وجنودُهُ يطلبونَ آثارَ موسى وقومِهِ ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ [الشعراء:٦٠].

وقدْ أوحَى اللهُ إلى موسى أنْ يَتَّخِذَ مِن البحرِ طَرِيقًا يَمُرُّ معَهُ هو وأصحابه وأنْ لا يخافَ من دخولِهِ البحرَ؛ لأنَّهُ سَيَهْدِ بهِ الطريقَ ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه:٧٧]، ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢].

إنَّ قومَ موسى عُزَّلٌ من السِّلاحِ، والبحرُ أمامهم والعدوُّ خلفهم، ولابدَّ من الخوفِ فهو منظرٌ رهيبٌ مُخيفٌ ولكن لثقةِ موسى بربِّهِ طمْأَنَ القومَ وقال ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾، وفي هذه الأثناء أوحى اللهُ إلى موسى قائلاً ﴿ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء:٦٣].

لقد تولَّتْ يدُ القدرةِ إدارةَ المعركةِ بين الإيمانِ والطُّغيانِ، فلم يتكلَّف

أصحابُ الإيمان فيها شيئًا سوى اتِّباع الوحي والسير ليلاً، ذلك أنَّ القوتينِ لم تكونا متكافئتين ولا مُتقاربتيْنِ في عالمِ الواقع، موسى وقومه ضِعَافٌ مُجَرَّدِين من القوَّةِ، وفرعون وجنوده يَمْلكُونَ القوَّة كلَّها، فلا سبيلَ إلى خوضِ معركةٍ مادِّيَّةٍ أصلاً. هنا تولَّت يد القدرة إدارة المعركة، ولكن بعد أن اكتملتْ حقيقةُ الإيمانِ في نفسِ الذين لا يَمْلكُون قوَّةً سواهَا. بعد أن استَعْلَنَ الإيمان في وجه الطغيان؛ لا يخشاهُ ولا يرجوه. أمَّا حين كانوا بنو إسرائيل يؤدُّونَ ضريبةَ الذُّلِّ لفرعونَ وهو يقتلُ أبنائَهُم، ويَسْتَحيي نسائهم؛ لم تتدخَّلْ يدُ القدرةِ لإدارةِ المعركَةِ(١). قال علماء التفسير: لما ركِبَ فرعون مع جنوده طالبًا بني إسرائيل - يقفُوا أثرَهم - كان في جيشٍ كثيفٍ عَرَمْرَمٍ حتَّى قيلَ كانَ في خيولِهِ مائةَ ألفِ فحْلٍ أدْهَمٍ، وكانت عدةُ جنودِهِ تزيدُ على ألفِ ألفِ وستمائةِ ألف. وقيل إنَّ بني إسرائيلَ كانُوا نحوًا من ستمائة ألف مقاتل غير الذرية(٢). ومع هذا الفرق الهائل بين القوتين من عُدَّةٍ وعتاد فإنَّه لم يحصل قتال، وكلُّ ما في الأمر أنَّ اللهَ أمرَ موسى أن يضربَ البحرَ بالعصا فينفرجَ البحرُ اثني عشرَ طريقًا يابسًا من الماءِ، ويعبرَ موسَى وجنودَهُ والبحرُ منغلقٌ، كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم(٣)، ويأتي الأجلُ المحتومُ لفرعونَ وجنودِهِ

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١٢/ ٤٨٤) الطبعة السابعة.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٩٣).

(٣) (المحقق): قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٣٧): (أي كالجبل الكبير قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن كعب والضحاك وقتادة وغيرهم، وقال عطاء الخراساني هو الفج =

وهم يُشاهدونَ هذا الطريقَ المُهيَّأ للعبور وموسى وقومه يمشون معه ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه:٧٨-٧٩]. لقد أرادَ موسى عليه السلام عندما شاهد فرعون داخلاً في طريق في البحر أنْ يضربَ البحرَ بعصَاهُ ليرجعَ كما كان عليه؛ لئلاَّ يكونَ لفرعون وجنوده وصولٌ إليه، ولا سبيلٌ عليه، فأمره القديرُ ذو الجلالِ أنْ يتركَ البحر على هذه الحال، كما قالَ وهو الصادقُ في المقال(١) ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ [الدخان:٢٤]. وبعد عودة البحر إلى حالته الأولى وهلاكِ فرعونَ وقومِهِ يطغى(٢) جسمُ فرعون على البحر ليشاهده من خلفه بأمِّ عينه ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ [يونس:٩٢]. إنَّهُ عندما شاهدَ الموتَ المحققَّ أعلنَ إيمانهُ بالله؛ ولكن فاتَ الأوانُ، وأُغلِقَ باب التوبة كما حكاهُ اللهُ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[يونس:٩٠-٩٢].

=

بين الجبلين، وقال ابن عباس صار البحر اثني عشر طريقًا لكل سبط طريق، وزاد السُّدي وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض وقام الماء على حيله كالحيطان وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته فسار يبسًا كوجه الأرض).

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٩٤).

(٢) (المحقق): هكذا في الأصل، ولعل الأصح يطفو.

وفي ظلالِ النصرِ والنجاةِ يتوجَّهُ الخطابُ إلى النَّاجين بالتذكيرِ والتحذيرِ؛ كيْ لا ينسوا ولا يبطروا ولا يتجرَّدوا من السلاح الوحيد الذي كان لهم في المعركة، فيضمنوا به النصر والنجاح[1]. ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾[طه ٨٠-٨٢].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٨٢).

الفصل الثالث: حال بني إسرائيل بعد هلاك فرعون.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ميعاد الله لموسى عليه السلام.

لقد دبَّتِ الحياةُ الجديدةُ في نفسِ موسى وقومه بعد انتصارِ الحقِّ وهلاك الباطل، وبعد أنْ تحقَّقَ وعدُ الله لهم في وراثة الأرض: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧]. لقد عبرُوا البحرَ إلى أرضِ الميعادِ التي وعدَ اللهُ موسى لتلقِّي التكاليف، فوجدوا القومَ يعبُدُون الأصنامَ. وكان قومُ موسى حدِيثُوا عهدٍ بجاهلية ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، بعدما بيّن لهم موسى بطلان عملهم وأنَّهُ لا يجوزُ عبادةُ غيرِ الله، وواصلَ المسيرَ حتى كانوا قربَ الجبلِ؛ خلَّفَ عليهم أخاهُ هارونَ، وذهبَ موسى للميعادِ، وكانت المدةُ التي أُمِرَ بصيامها ثلاثين يومًا قبل الكلامِ مع الله. وأخرجَ الدَّيْلَمِي عن ابن عباسٍ يرفعهُ (لما أتى موسى ربَّهُ عز وجل وأرادَ أن يُكلِّمَهُ بعد الثلاثين، وقد صامَ نهارهُنَّ ولياليهنَّ كرهَ أن يُكلِّمَ ربَّهُ وريحُ فمِهِ ريحُ فمِ الصَّائم، فتناولَ من

نبَاتِ الأرضِ فمضَغَهُ فقال له ربُّهُ لم أفطرت؟ وهو أعلمُ بالذي كانَ، قال أيْ ربِّ كرهتُ أنْ أكلِّمَكَ إلا وفمي طيبُ الريح، قالَ: أو ما علمتَ يا موسى أنَّ ريحَ فمِ الصَّائمِ عندِي أطيبُ من ريح المسك؟ ارجع فصمْ عشرةَ أيامٍ ثم ائتني، ففعل موسى عليه السلام الذي أمره ربه[١] أ.هـ[٢]. مصداق قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:١٤٢]. لقد طالتْ غيبةُ موسَى عليه السلام عن القومِ حيث أنه أخبر بني إسرائيل قبل ذهابه لميقات ربه أنَّ غيبتَهُ عنهم لا تطول أكثر من ثلاثين يومًا. فلمَّا أمرَ اللهُ موسى أن يستأنفَ الصومَ عشرَ أيامٍ ليُتمَّ ميقات ربه أربعين ليلة؛ استبطأ القومُ موسى فانتهزَ رجلٌ من المنافقينَ منهم يقال له السامري[٣] غيبةَ موسى، وأخذ من بني إسرائيل بعضَ حُليِّهم التي كانت نساؤهم أخذتها من المصريَّات قبل رحيلهم، وألقاها في النارِ وسَبَكَ منها عجلاً مُجَسَّدًا متقن الصنع[٤]، كأنَّ له خُوار أي صوت كصوت البقرة وقال

---

(١) (المحقق): انظر الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٤٢٧) لشيرويه الديلمي ت٥٠٩هـ ط.دار الكتب العلمية.

(٢) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ص٢١٣.

(٣) (المحقق): قال الطبري في تفسيره (١/ ٢٨٣): (وكان اسم السامري موسى بن ظفر وقع في أرض مصر فدخل في بني إسرائيل).

(٤) (المحقق): أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم ٨٩٨٦): عن سعيد بن جبير عن ابن =

لهم ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾(١). إنَّ موسى عليه السلام استعجل مُناجاةَ ربِّهِ وتركَ قومَهُ وهم بحاجةٍ إليهِ، ولكنَّهُ خلَّفَ علَيْهم هارون وأمرَهُ بإصلاحِ أحوالهم ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[الأعراف:١٤٢].

إنَّ موسى كلَّمَ ربَّهُ وطمِعَ في رؤيتِهِ كما حكا اللهُ عنهُ قولَه: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا

=

عباس قال: وكان هارون قد خطبهم فقال إنكم خرجتم من مصر وعندكم ودائع لقوم فرعون وعواري ولكم فيهم مثل ذلك، وإني أرى أن تحبسوا ما لهم عندكم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها أو عارية، فلسنا برادّي شيئًا من ذلك إليهم ولا ممسكيه لأنفسنا، فحفَرَ حفيرًا فأمر كل قوم عندهم شيء من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في تلك الحفرة ثم أوقد عليه النار فحرقه، فقال لا يكون لنا ولا لهم. وكان السامري رجلا من قوم يعبدون البقر؛ جيرانٌ لهم ليس من بني إسرائيل، فاحتمل مع بني إسرائيل حين احتملوا فقضى له أنه رأى أثرًا، فاخذ منه قبضة فمرَّ بهارون فقال له هارون يا سامري إلا تُلْقِي ما في يدك، وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك فقال هذه قبضة من اثر الرسول الذي جاوز بكم البحر فلا ألقيها لشيء إلا أن تدعوا الله إذا ألقيتها أن تكون ما أريد قال فألقاها ودعا له هارون فقال: أريد أن يكون عجلا، فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع ونحاس أو حلي أو حديد فصار عجلا أجوف ليس فيه روح وله خوار.

(١) أحسن القصص لعلي فكري (ص ١٠٢-١٠٣).

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣-١٤٤]. وبعدها أخبر اللهُ موسى بما صار لقومِهِ من بعده وأنَّ السَّامري قد أضلَّهم ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا﴾ [طه:٨٥-٨٦]، وأخذ يعاتبُ أخاهُ ويقول ﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه:٩٢-٩٤]. إنَّ هارون قد قامَ بوصايةِ أخيه موسى، وأخذَ بإصلاحِ القومِ وتوجيهِهِم وإخبارِهم أنَّ هذا فتنة، وأنه لا تجوز عبادةُ غير الله، ولكنَّهم قالوا ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه:٩١]، فقد تعنَّتَ القومُ على هارون وأصرُّوا على عبادتهم للعجل ولم يَمْتثِلُوا أمرَ النَّاصح المنصف الذي لم يُواجه القوم بشيء يكرهونه خشيةَ أنْ يحصُلَ انقسامٌ بينهم وبين نبي الله موسى، ولقد توعَّدَ اللهُ الذين عبدوا العجلَ أنَّهُ سينالُهُم غضبٌ في الدنيا قبلَ الآخرة حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف:١٥٢]. وفي تفسيرِ هذه الآية أنَّ الغَضَبَ الذي ينالُهُم منَ الله تعالى هو أنَّه لم يقبل توبتَهُم حتَّى قَتَلَ بعضهم بعضًا، وأمَّا الذلَّةُ فأعقبَهم ذلك ذلاً وصَغَارًا في الحياة الدنيا(١).

(١) اختصار ابن كثير (٢/ ١٣٥).

المبحث الثاني: كلامُ موسى مع ربِّهِ، وعتابُهُ لهارون وللسَّامري.

لقد اصطفى اللهُ موسى على سائر الناسِ المبعوث فيهم، وكتبَ لهُ بيان كل شيء يحْتاجُونهُ من حلالٍ وحرامٍ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[الأعراف:١٤٤-١٤٥]. لقد حَمَلَ موسى معهُ الألواحَ وجاءَ بها إلى قومِهِ ليُلقِي عليهم أمْرَ ربِّهم، ووجدهم يعبدونَ العجل فاستثارهُ الغضبُ ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف:١٥٠]، إلا أنَّ هارون عليه السلام تلطَّفَ معهُ ليُسكنَ غضبَهُ وأخذ يُبيِّنُ لهُ الحال ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥٠]، ثم أقبلَ موسى على السَّامري ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾ [طه:٩٥]، أيْ ما حَمَلَكَ على ما صنعتْ؟ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي رأيتُ جبرائيل وهو راكبٌ فرسًا ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي من أثرِ فَرَسِ جبريل[1]، وقد ذكر بعضهم أنهم رآهُ وكلَّما وطِئَتْ بحوافِرِهَا على موْضِعٍ أخْضَرَ وأعْشَبَ، فأخَذَ من آثر حافرها، فلمَّا ألقاهُ في هذا العجل المصنوع من الذهب كان من أمْرِهِ ما كان، ولهذا قال ﴿فَنَبَذْتُهَا

(١) (المحقق): انظر تفسير الطبري (١/ ٢٨٢ و٢٨٣، ٦/ ٩).

وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ [طه:٩٥-٩٦]، وهذا دعاءٌ عليه بأنْ لا يَمَسَّ أحدًا معاقبةً لهُ على مسِّه ما لم يكن لهُ مسُّهُ[١]، هذا معاقبةٌ لهُ في الدنيا، ثم توعَّدَهُ في الآخرة فقال ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدًا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴾ [طه:٩٧]. فقد عمِدَ موسى عليه السلام إلى هذا العجل فحَرَّقهُ، قيل بالنَّارِ كما قاله قتادة وغيره[٢]، وقيل بالماردِ كما قاله علي رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه وغيرهما، وهو نصُّ أهل الكتاب، ثم داره في البحر وأمرَ بني إسرائيل فشربوا؛ فمن كان من عابديه عَلَقَ على شفاههم من ذلك الرماد ما يدلُّ عليه، وقيل بل اصفرَّتْ ألوانُهُم[٣]. ونحنُ نميلُ إلى اعتبار هذا اعتذارٌ من السَّامِرِي وتملُّصٌ[٤] من تبعةِ ما حدث، وأنَّهُ هو صنعَ العجل من الذَّهَبِ الذي قذفه بنوا إسرائيل من زينة المصريِّن التي أخذوها معهم، وأنَّهُ صنعهُ بطريقةٍ تجعلُ الريح تُصَوِّتُ في فَرَاغِهِ فتُحْدِثُ صوتًا كالخُوار[٥].

---

(١) (المحقق): قال الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٠٦): (وذكر أنَّ موسى أمرَ بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه فلذلك قال له إنَّ لك في الحياة أن تقول لا مساس).

(٢) (المحقق): انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٥)، وقال الضحاك عن ابن عباس والسدي سَحَلَهُ بالمبارد وألقاه على النار.

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير (٢/ ١٢٢-١٢٣).

(٤) (المحقق): قال في لسان العرب (٧/ ٩٤): (التملُّصُ: التخلّصُ يقال: ما كدت أَتَمَلَّصُ من فلان).

(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب (١٦/ ٩٤)، الطبعة الخامسة.

وهكذا نجدُ هارونَ أهدأ أعصابًا وأملكَ لانفعالِهِ من مُوسَى عليه السلام[١]، فهو يَلْمَسُ في مَشَاعِرِهِ نُقطةً حسَّاسَةً، ويجيء لهُ من ناحيةِ الرَّحْمَةِ وهي أشدُّ حساسيَّةً ويعرضُ له وجهةَ نظرهِ في صورةِ الطَّاعَةِ لا حسب تقديرِهِ، وأنَّهُ خَشِيَ إِنْ هُوَ عالَجَ الأمورَ بالعنفِ أنْ يتفرَّقَ بنوُ إسرائيل شِيعًا بعضُهَا معَ العِجْلِ وبعضُها مع نصيحةِ هارون، وقَدْ أمرَهُ بأنْ يُحافِظَ على بني إسرائيل ولا يُحْدِث فيهم أمْرًا[٢]. وقد تبين في هذه القصة:

١ - حرصُ موسى عليه السلام على هداية بني إسرائيل وإرادة الخير لهم.

٢ - أنَّ الوثنيَّةَ إذا توغَّلَتْ في النفوسِ راجت عندها الشبهات.

٣- أنَّ معالمَ الإيمانِ ظاهرةٌ في فعلِ موسى وهو يُحرِّقُ العجلَ ولم يَخْشَ من أحدٍ.

٤ - أنَّ المادَّةَ لا قيمَةَ لَهَا عندَ مُوسَى مَا دامَ إحْراقُهَا إظهارٌ للحَقِّ وبيان للباطل.

(١) (المحقق): أسلوب التفضيل بين موسى وهارون عليهما السلام من سيد قطب رحمه الله هنا غير لائق في مقام الأنبياء عليهم السلام، وفيه جسارةٌ على موسى عليه السلام، إذ يُفهم من هذا التفضيل أنّ موسى عليه السلام كان مخطئًا في إحراقه العجل.

(٢) في ظلال القرآن، المصدر السابق.

المبحث الثالث: عقابُ بني إسرائيل ثُم عفوُ الله عنهم.

لقد سَكَنَ غضبُ موسَى عليه السلام وعادَ لعلاجِ القومِ بما يُناسِبُ حالَهُم، ونظَرَ في الألواحِ التي طَرَحَها وَوَجَد فيهَا الهُدى والرحمة ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٤]، وقد رأى بنوا إسرائيل أنَّهُم ظلمُوا أنفسهم بعبادتهم العجلَ الذي حرَّقَهُ موسى أمامهم ولم يدفع عن نفسه شيئًا. ولو كان إلهًا حقًا لعوقبَ موسى عليه السلام على تعدِّيهِ عليه، فقال موسى عليه السلام ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ [البقرة:٥٤]، قال ابن جرير أخبرني القاسم بن أبي بزَّة(١) أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهد يقولان في قوله تعالى ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ قالا: قامَ بعضُهم إلى بعض بالخناجِرِ يقتلُ بعضهم بعضًا، لا يَحْنوا رجلٌ لا على قريبٍ ولا بعيدٍ حتى ألوى موسى بثوبهِ فطرحُوا ما بأيديهم، فكشفَ عن سبعين ألفَ قتيلٍ، وأنَّ الله أوحى إلى موسى أنْ حسبي فقد اكتفيتُ. فذلك حين ألْوَى موسى بثوبه. وروى ابن جرير بإسناد جيِّدٍ عن الزُّهْري(٢) قال

---

(١) (المحقق): قال ابن جرير حدثني عباس بن محمد قال حدثنا حجاج بن محمد قال بن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة.. إلخ (١/ ٢٨٦).

(٢) (المحقق): محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الفقيه الحافظ أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام روى عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس وجابر وأبي الطفيل =

فيما قاله بشأن هذا الأمر: وحزن موسى وبنوا إسرائيل للذي كان من القتل فيهم، فأوحى اللهُ جلَّ ثناؤُهُ إلى موسى وما يحزنك؟ أمَّا من قُتِلَ منهم فحيٌّ عندي يرزق، وأمَّا من بقيَ فقدْ قبلتُ توبتَهُ، فسُرَّ بذلك موسى وبنوا إسرائيل[(١)]، فذلك قولُهُ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤].

وبعد التوبة عليهم اختار موسى سبعينَ رجلاً للذهابِ معهُ إلى جبل الطُّورِ الذي اعتادَ أنْ يُناجِيَ ربَّهُ فيه؛ ليُقدِّمُوا الطاعةَ لله على ما اقترفُوا من إثم، وهناك كلَّمَ اللهُ موسى، ولكن جماعةٌ منهم لم يؤمنوا أنَّ اللهَ هو الذي يُكلِّمُ موسى فتمرَّدُوا وعصَوا وقالوا له: لن نؤمن بك حتى نرَى الله جهرةً بأَعْيُننا، لا يَحْجبه حاجبٌ. على إثْرِ هذا الطلب أخذتهم الصَّاعقة جميعًا فراحوا يَتَسَاقطون على الأرض صَرْعَى، ثم بعثَهُمُ اللهُ من بعد موتِهم بعد أن تضرَّعَ موسى وطلبَ العفوَ عمَّا صَدَر من سُفهائِهم، وبعد أن دَعَا ربَّهُ ألاَّ يُؤاخذَ المجموعَ بما فعلهُ بعضُ السُّفَهَاءِ، غفرَ الله لهم ذلك وأعادهم إلى الحياة،

=

والسائب بن يزيد وأبي أمامة بن سهل بن حنيف وقبيصة بن ذؤيب ومالك بن أوس بن الحدثان وغيرهم. وقال أبو الزناد كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس، وقال عن الليث ما رأيت عالما أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه لو سمعته يحدث في الترغيب لقلت لا يحسن إلا هذا وإن حدَّث عن الأنساب لقلت لا يعرف إلا هذا وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعًا جامعًا، مات سنة ١٢٥هـ. (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٥).

(١) اختصار ابن كثير (١/ ٥٤-٥٥).

فطلب موسى عندئذٍ الرَّحْمَةَ والمغفرة[١]. وهذا ما يذكُرُهُ الله لنا حين يقول: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٥]، وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على عطْفِ موسى على قومِهِ وحرصِهِ على هِدَايَتِهِم مع شِدَّةِ عِنادِهِم لهُ، وتعنُّتِهِم عليْهِ، فلم يستفيدوا من الآياتِ التي شَاهَدُوهَا في أنفسِهِم وفي غيرِها.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦]. إنَّ معالمَ الإيمانِ في محبَّةِ موسى للإصْلاحِ بارزةٌ معَ مَا يُواجهُهُ من تُهَمٍ تُوجَّهُ إليهِ، معَ ما لديهِ من الصَّلابةِ في الحقِّ ولو وُجِّهَتْ هذهِ التُّهم لغيرِهِ لَمَا تَحمَّلَهَا، وحسبُكَ أنَّ اللهَ اصطفاهُ في الدنيا وأنَّهُ في الآخرةِ لمن الصالحين.

---

(١) مع الأنبياء عفيف عبد الفتاح طبارة ص٢٤٧.

البَابُ الثَّالِثُ

ما واجهه موسى عليه السلام من بني إسرائيل

الفصل الأول: عدمُ قبولِ بني إسرائيل لأحكام الله، ورأفةُ موسى بهم.

١- رفع الجبل فوقهم. ٢- امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة.

٣- استغاثة موسى لهم.

الفصل الثاني: تحيُّلُ بني إسرائيل وعقابُ الله لهم.

١- خبر أهل القرية. ٢- خبر قارون.

٣- قصة البقرة وما يستفاد منها.

الفصل الثالث: رحلةُ موسى عليه السلام في طلب العلم.

المبحث الأول: سببُ رحلة موسى مع الخِضْر عليه السلام.

أ- خرق السفينة. ب- قتل الغلام. ج- إقامة الجدار.

المبحث الثاني: محاجةُ آدم لموسى عليه السلام وما فيها من الإيمان بالغيب.

المبحث الثالث: شمائلُ موسى عليه السلام وما فيها من معالم إيمانية.

المبحث الرابع: أسلوبُ موسى في الدعوة ومعالم الإيمان فيها.

وفاة موسى عليه السلام.

الفصل الأول: عدمُ قبولِ بني إسرائيل لأحكامِ الله ورأفةِ موسى عليه السلام بهم.

وتحته ثلاثة أمور:

الأمر الأول: رفع الجبل فوق بني إسرائيل.

لقد استمرَّ موسى عليه السلام في إصلاح بني إسرائيل؛ ولكنَّهُ رأى منهم معارضةً وقسوةً، عندئذٍ هدَّدَهُم اللهُ بالسَّحْقِ بأنْ رفَعَ الطُّورَ فوقهم فارتاعوا وظنُّوا أنَّه واقع عليهم فتضرعُوا إلى الله، فأمرهم أن يأخذوا حينئذٍ ما آتاهُمُ من الأحكام بقوَّةٍ؛ أيْ بدون تذمُّرٍ وأنْ يدرسُوا ما في الكتاب ولا يغفلوا عنه ويصبحوا بذلك من المتقين، فلما أزالَ الله عنهم هذه الغُمَّة أعرضُوا عن هدى الله[1]. قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة:٦٣-٦٤]. إنَّ بني إسرائيل لم يَتَحمَّلوا تكاليفَ الأحكام الإلهيةِ التِي لم يتعوَّدُوها من قبل، لأنَّ الأوامر البشريَّةِ الباطلةِ التي تعوَّدُوها أوْرَثَتْ المهانةَ والذلَّةَ، وسيْطَرَتْ على العقولِ فلا تستطيعُ تَحمُّلَ الحقِّ؛ لأنَّ القلوبَ قد امتلأت بالباطلِ، والإناء لا يتسع غير ملئه. فعندَ ذلكَ صارُوا لا يقومون بالمواثيقِ التي تُؤخذ على

(١) مع الأنبياء عبدالفتاح طبارة (ص ٢٤٨).

عواتِقِهم، ويشاهدون الآياتِ الكونيَّةِ، والمعجزاتِ الإلهية ولا يستفيدون منها، وإلا فكيفَ يُشاهدوا هذه الآيات التي يُخوِّفُهم اللهُ بها كما جرَّبُوا عاقبةَ المعَاصِي من غَرَقٍ وصَواعِقَ ورفع جبال ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٧١]، وقد ذكر بعض المفسِّرينَ كرشيدِ رضا أنَّ النَّتقَ غيرُ الرفعِ، خلافًا لما عليهِ الجمهور الذين أخذوا بظاهرِ الآياتِ من رفعِ الجبلِ فوق بني إسرائيل، وهذا ما يدعُوا إلى الإيمانِ بقدرةِ الله وأنَّ اللهَ قادرٌ على أنْ يرفعَ الجبلَ حتى يكونَ أدْعَى للتَّسليمِ والانقياد للأوامرِ الإلهيةِ، فالذي يُوقِفُ الماءَ فيجعلُهُ كالجبلِ قادرٌ على أنْ يَجْعَلَ الجبالَ كالسَّحَابِ المسخَّرِ بين السماءِ والأرضِ وكذا اختلافهم في الإكراهِ بأخذِ التكاليفِ بقوَّةٍ، فإذا كان هؤلاء القوم لم تنفع فيهمُ النِّعَم، ولم تُفِدْ فيهمُ النِّقَم، فما يُناسبهم إلا القوة. وبعد العصيان تنزل بهم العقوبةُ وهذا هو العدل. وإنَّنا لا نعممُّ الحكمَ على جميع بني إسرائيل؛ فإنَّ منهم أمَّة يهدون بالحقِّ وبه يعدلون، ومنهم من قتلَ نفسَهُ توبةً إلى الله وامتثالاً لأمرِ رسولهِ، وإنَّ منهم من نافَحَ عن موسى وأنقذَهُ من القتل، ومنهم من دافع عنه بالقول والحُجَجِ ولكنَّهم ذريةٌ قليل، ويبقى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] خاصًا بأمة محمد ﷺ.

الأمر الثاني: امتناعُ بني إسرائيل عن دخولِ الأرض المقدسة.

إنَّ مُوسى عليه السلام يُذكِّرُ بني إسرائيل النِّعمَ الكثيرةَ التي أنعمَ الله بها عليهم

من وجودِ الأنبياءِ فيهم، وهلاكِ فرعونَ ونجاتِهِم، وقبول التوبة عليهم، والإحياء بعد الصَّعْقَةِ، وإتيانهم ما لم يُؤتِ أحدٌ من العالمين، ويَحُثُّهُم على الجهادِ ودخولِ الأرضَ المقدسَّةِ التي كتبَهَا الله لهم ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٢١]، ومن هنا تَظْهرُ فائدةُ التربية عند المعاركِ، ويظهر الإيمانُ بالله والتصديقُ برسُلِهِ، لأنَّ الجهاد في سبيل الله بمثابة دورة الاختبار، فقد ظَهَرَ ما عندَ القومِ من المحبَّةِ والاتباعِ، فقائلٌ - وهو من تربَّى في جوار فرعون - ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة:٢٤]، وأمَّا مَنْ تربَّى على يدِ موسى فقد قالا ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣]، لكنَّهُم رجلان فقط، أنعمَ الله عليهما، وأمَّا بقيةُ القوم فقد تربَّوا على الذلِّ والهوانِ، وعلى الكفرِ والإلحادِ؛ عندها عَلِمَ موسى أنَّهُ لا طائلَ من وراءِ القومِ فتوجَّهَ إلى الله قائلاً ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٥] فقال الله تعالى ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٦]، عُوقِبُوا على نُكُولِهِم عن الجهَادِ بالتَّيَهَانِ في الأرضِ، يسيرون إلى غير قصدٍ ليلاً ونهارًا وصباحًا ومساءًا، ويُقالُ إنَّه لم يَخْرج أحدٌ من التِّيهِ مِمَّن دخلَهُ، بل ماتُوا كلُّهُم في مُدَّةِ

أربعين سنة ولم يبقَ إلا ذرَارِيهم، سوى يوشع وكالب عليهما السلام[١][٢]، وهما اللذان قالا ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾، ومن هنا يظهرُ الفارقُ العظيمُ بين أصحابِ موسى عليه السلام وأصحاب محمَّدٍ ﷺ يومَ بدرٍ، لمَّا استشَارَهُم في الذهابِ إلى النَّفِير، تكلَّمَ الصِّدِّيقُ فأحسنَ، وتكلَّم غيرُهُ من المهاجرين، ثم جعل يقول: أشيرُوا عليَّ، حتَّى قالَ سعدُ بن معاذ: كأنَّكَ تُعَرِّضُ بنا يا رسولَ الله فوالذي بعثَكَ بالحقِّ لو استعرضْتَ بنا هذا البحر فخُضْتَهُ لخضناهُ معك ما تَخلَّفَ منَّا رجلٌ واحدٌ، وما نكرَهُ أن تلقى بنا عدوَّنا غدًا، إنَّا لَصَبْرٌ في الحربِ صِدْقٌ عندَ اللقاء لعلَّ الله أن يريَكَ منَّا ما تقرُّ بِهِ عينك فَسِرْ بنَا على بركة الله، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بقولِ سعدٍ ونشطه ذلك[٣]، وقال الإمام أحمد[٤]: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن مُخارق بن عبدالله الأحمس عن طارق - هو ابن شهاب - أنَّ المقدادَ قالَ لرسولِ الله ﷺ يوم بدر: يا رسولَ الله إنَّا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير(١/ ٣٠٢).

(٢) (المحقق): هما من أنبياء بني إسرائيل، ويوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام هو فتى موسى الذي سار معه، وهو نبي الله لقوم موسى من بعده. وانظر تفسير الطبري (٦/ ١٥، ١٧٦/ ٢٧٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ٩٩، ٢/ ٤١).
وكالب بن يوقنا بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، هو الذي قام ببني إسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون،انظر تفسير الطبري (٦/ ١٧٦) وتاريخ مدينة دمشق (٥٠/ ٨)ط دار الفكر.

(٣) (المحقق): انظر تفسير الطبري (٩/ ١٨٥-١٨٦).

(٤) (المحقق): أخرجه في المسند (٤/ ٣١٤).

لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنتَ وربُّك فقاتلا إنا معكم مقاتلون[١].

هذه نتائج التربيةِ وثمارُها عندَ الحاجَةِ إليها، وإنَّ معظم الجيوش الإسلامية لم تتربَّ التربيةَ الكاملةَ، فتخشَ عند الحاجةِ أن لا تُساعدَهَا سَوَاعِدُهَا، فتتيهُ[٢] كما تاهَ غيرُهَا، وشبيهُ الشيء منجذبٌ إليه[٣].

الأمر الثالث: استغاثة موسى لقومه.

لقد مرت فاقةٌ ببني إسرائيل وهم تائهونَ؛ قلةٌ في الماء وقلةٌ في الطعام، وعدمُ اهتداءٍ إلى الطَّرِيق، حيثُ كانوا يسيرون ويرجعون من حيث أَتَوْا، ولم يَكنْ لهم بدٌّ إلا أن يذهبُوا إلى موسى ليستغيثَ لهم ربَّهُ، وموسى الحريصُ على أمَّتِهِ، الرحيمُ بهم الذي لا يُجازي المسيءَ بإساءته؛ بل يُجازي الإساءةَ بالإحسان، ويواجه الخطأ بالنسيان، قام يدعوا ربَّهُ السقيا، فأمرَهُ بضربِ الحجَرِ بعصَاه، فامتثل الأمرُ فانفجرَ الحجرُ بينابيعَ على عددِ القوم، وعرف كل

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٠٣).

(٢) (المحقق): ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان (٢/ ٦٩) ط دار الفكر بلدة اسمها التيه وقال: (التيه: الهاء خالصة، وهو الموضع الذي ضلَّ فيه موسى بن عمران عليه السلام وقومه، وهي أرض بين أيلة، ومصر وبحر القلزم وجبال السَّرَاةِ من أرض الشام).

(٣) (المحقق): شبه الشيء منجذبٌ إليه؛ قيل هو من كلام أبي حامد الغزالي، وقال السخاوي هو بمعنى الأرواح جنودٌ مجنَّدة، وانظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني(٢/ ٤)ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

فريق مشربهم، ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:٦٠]، لقد كانوا بين الصحراء بجدبها وصخورها، والسماء بشواظها ورجُومها، فأمّا الحجَرُ فقد أنبعَ اللهُ لهم منه الماء، وأما السماءُ فأنزلَ لهم منها المنَّ والسَّلْوى: عسلٌ وطيرٌ[١]، ولكن البُنية النَّفْسيَّة المفكَّكَة، والجِبلَّة الهابطة المتداعية أبتْ على القومِ أنْ يَرْتَفِعُوا إلى مستوى الغايةِ التِي من أجْلِهَا أُخْرِجُوا من مصرَ، ومن أجلها ضُرِبُوا في الصحراء. لقدْ أخرجهمُ الله على يدِ نبيِّهم موسى عليه السلام من الذلِّ والهوانِ ليورثهم الأرضَ المقدسةَ وليَرْفَعَهَم من المهانةِ والضعف. وللحرية ثمنٌ وللعزة تكاليفُ، وللأمانةِ الكبرى التي أناطهمُ الله بها فدية، ولكنَّهم لا يُريدونَ أن يؤدوا الثمن، ولا يريدون أن ينهضُوا بالتكاليف، ولا يريدون أن يدفعوا الفدية، حتَّى بأنْ يتركوا مألوفَ حياتِهم الرئيسيةِ الهنيَّة؛ بأن يُغيِّرُوا مألوفَ طعامِهم وشرابهم، وأن يُكيِّفُوا أنفسَهم بظروف حياتهم الجديدة في طريقِهم إلى العزَّةِ والحريَّة والكرامةِ. إنَّهم يريدون الأطعمةَ المتنوعة التي أَلِفُوهَا في مصر، يريدون العدَسَ والثُومَ[٢] والبَصَل

---

(١) (المحقق): انظر تفسير ابن كثير (١/ ٩٨).

(٢) (المحقق): المؤلف هنا رجَّح بأن الفوم في:البقرة هو الثوم وهو القول الثاني الذي ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٣١١) وقرأ ابن مسعود فومها بالثاء، والقول الأول أورد بسنده عن ابن عباس وغيره أنَّ الفُومَ هو الحنطة والخبز.

والقثَّاء[١] وما إليها، وهذا ما يُذكرهم القرآن به[٢] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة:٦١]. إنَّها العقولُ المتحجِّرَةُ والأفكارُ الوِراثيَّةُ؛ إنَّها النُّفُوسُ اللئيمةُ التي تعافُ طعامًا مُنزَّلاً من السَّمَاءِ، طيبَ الطعم والرائحة، وتطلبُ طعامَ الأرضِ، مُرَّ الطعم، ومنتِنَ الرائحة[٣]، إنه استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

---

(١) (المحقق): ذكر الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره أنَّ القثَّاء هو الخيار، انظر (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٥٣) ط الرسالة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (١/ ٩٥).

(٣) (المحقق): قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٣١٢): ولا شك أن من استبدل بالمن والسلوى البقلَ والقثاءَ والعدسَ والبصلَ والثومَ فقد استبدل الوضيعَ من العيش بالرفيع منه، وقد تأول بعضهم قوله الذي هو أدنى بمعنى الذي هو أقرب ووجهُ قوله أدنى إلى أنه أفعل من الدنو الذي هو بمعنى القرب.

الفصل الثاني: تحيُّلُ بني إسرائيل وعقاب الله لهم.

وفيه ثلاث عظات:

الموعظة الأولى: خبرُ أهل القرية.

إنَّ نِعَمَ اللهِ على بني إسرائيلَ كثيرةٌ، وإنَّ من بينها أنَّهُ أمَرَهُم بأنْ يَدْخلوا القريةَ، وأنْ يأكلوا مِمَّا يَشَاءون فيها، ولكنَّ الشقاوة تَحْمِلُ أصحابها على المخَالَفَةِ للأمر كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة:٥٨]، إلا أنَّهُم نُهوا عن صيدِ السَّمَكِ يومَ السبت، فتحيَّلُوا وصَنَعُوا الطريقةَ لصيْدِهِ يومَ السَّبْتِ، وإبقائه في الماء إلى ما بعدَ السَّبْت ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٩]، ولهذا يقولُ الله تعالى لنبيِّهِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه: وأسأل هؤلاءِ اليهود[1] الذين يُخبرونك عن قصَّةِ أصحابهم الذين خالفُوا أمرَ الله ففاجأتهم نقمتُهُ على صنيعهم واحتيالِهم في المخالفةِ، وحذِّرْ هؤلاء من كتمان صفتِكَ التي يجدونها في كتُبهم؛ لئلاَّ يَحِلَّ بهم ما حلَّ بإخوانهم وسلفهم . وهذه القرية هي إيليه، وهي على شاطئ بحرِ القلزم[2]،

(١) (المحقق): أي مخاطبة الله عز وجل لنبيه ﷺ بقوله ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾.

(٢) (المحقق):بحر القلزم هو البحر الأحمر، وإيليه هي إيلات اليهودية الآن، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (١/ ٢٩٢): (مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل
=

وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾ أي: يعتمدون فيه، ويخالفون أمر الله، ﴿ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا ﴾ أي ظاهرةً على الماءِ من كلِّ مكان، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٣] أي نَخْتَبِرُهُم بإظهارِ السَّمَكِ لهم في اليومِ المحرَّمِ عليهم، وإخفائهِ عنهم في اليومِ الحلال[1]، ﴿ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ ﴾ أي: تَجاوزُوا الحدَّ في معصيتِهِ سبحانهُ تمرُّدًا وتكبُّرًا ﴿ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف:١٦٦]، أيْ أمرناهم أمْرًا كونيًّا لا أمْرًا قوليًّا[2]؛ أي مسخناهُم قردةً، قيل إنَّهُ سبحانه عذَّبهم أولاً بسببِ المعصية فلمَّا لم يُقلعوا

=

هي آخر الحجاز وأول الشام واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إيلياء بعده قال أبوزيد أيله مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير). وقال ابن خلدون في المقدمة (وجزيرة العرب كأنها داخلة من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب و بحر القلزم من الغرب و بحر فارس من الشرق و تفضي إلى العراق بين الشام و البصرة على ألف و خمسمائة ميل بينهما).

(١) اختصار ابن كثير (٢/ ١٤١-١٤٢).

(٢) (المحقق): أي الإرادة الكونية لا الإرادة الشرعية، والفرق بينهما:

١- أن الإرادة الكونية:مرادفة للمشيئة وهي التي يلزم فيها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم.

٢- أن الإرادة الشرعية هي التي تختص فيما يُحبُّه الله، والكونية عامَّةٌ فيما يُحبُّه وما لا يُحبُّهُ. (انظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/ ٢٢٣).

مَسَخَهُم قردةً، وقيل إنَّ قولَه ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ تكريرٌ لقولِهِ: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ ﴾ للتأكيدِ والتقريرِ، وأنَّ المسخَ هو العذابُ البئيسُ، والخاسئ الصاغر الذليل أو المبَاعِد المطرود[١].

والظاهر من تأويلِ الإمامِ الشوكاني[٢] أَنَّهُ لم يَثبتْ مسخَهُم قردةً فهو مع من يرى عدمَ المسْخِ، والذي أراهُ أنَّ اللهَ قادرٌ على تحويلِ الخلْقِ إذا عصوا قردةً ليكونوا عبرةً لغيرهم[٣]، فهو أنكى في النهي عن مخالفةِ أمر الله ﷻ، وأنَّ مما تبيَّنَ لنا من أخبارِ بني إسرائيل أنهم جُبلُوا على المخالفة والعنادِ، وأنَّ طباعهم متبلِّدةٌ غير مبالين بما يُصيبهم بسببِ مخالفةِ الأوامرِ الإلهيَّة، ولهذا أكثرُ معجزاتِ بني إسرائيل كانت حسِّيَّةً لبلادَتِهم وقلةِ بصيرتهم[٤].

الموعظة الثانية: خبر قارون.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [القصص:٧٦]،

---

(١) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني (٢/ ٢٤٥) الطبعة الأولى.

(٢) (المحقق): هو الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ) مؤلف نيل الأوطار والدرر البهيَّة وشرحها وغيرهما، انظر ترجمته في كتابه البدر الطالع (ص٧٣٦) ط دار الفكر، ت حسين العمري.

(٣) (المحقق): وهو رأي ابن عباس رضي الله عنهما، أخرج الطبري بإسناده (٩/ ١٠١): عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ فجعل الله منهم القردة والخنازير، فزعم أن شباب القوم صاروا قردة وأن المشيخة صاروا خنازير.

(٤) الإتقان في علوم القرآن لعبدالرحمن السيوطي (٢/ ١١٦) ط٣، ١٣٧٠هـ.

قال النخعيُّ(١) وقتادة(٢) وغيرهما: كان ابنُ عمِّ موسى وهو قارون بن يَصْهر بن قاهث بن لاوي(٣) بن يعقوب، وموسى هو ابن عمران بن قاهث(٤)، وقال ابن إسحاق: كان عمًّا لأبٍ وأم؛ فجعلهُ أخًا لعمران، وهما أبناء قاهث(٥)، وقيل ابن خالة موسى، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه فنافق كما نافق السامري(٦)، وخرج عن طاعة موسى وهو معنى قوله

---

(١) (المحقق): هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي الفقيه،قال العجلي رأى عائشة رؤيا، وكان مفتي أهل الكوفة وكان رجلا صالحًا فقيهًا، ومات وهو مختف من الحجاج، وقال بن حبان في الثقات مولده سنة ٥ ومات بعد موت الحجاج بأربعة أشهر.(تهذيب التهذيب ١/ ١٥٥).

(٢) (المحقق): هو قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي البصري وُلِدَ أكمه، روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل وصفية بنت شيبة وأرسل عن سفينة وأبي سعيد الخدري وسنان بن سلمة بن المحبق وعمران بن حصين وروى عن سعيد بن المسيب وعكرمة وأبي الشعثاء، قال ابن حبان في الثقات كان من أعلم الناس بالقرآن والفقه ومن حفاظ أهل زمانه مات بواسط سنة ١١٧هـ.(تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٥).

(٣) (المحقق): في الفصل الأول من الباب الأول من هذا الكتاب في نسب موسى عليه السلام زاد المؤلف جدًّا لموسى وهو عازر بن لاوي، وهذا ما أشار إليه العيني في عمدة القاري أنه ذكره بعضهم (١٥/ ٢٨٤) ط دار إحياء التراث العربي.

(٤) (المحقق): هذا ما ذكره ابن جرير الطبري عن ابن جريج (٢٠/ ١٠٥)، وابن كثير (ج:٣ ص:٣٩٩).

(٥) (المحقق): انظر تفسير الطبري (١/ ٢٨٠ و٧/ ٢٦١ و٢٠/ ١٠٥) وابن كثير المصدر السابق.

(٦) (المحقق): انظر تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٦).

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[(١)].

مضتْ مطالعُ السورةِ بقصةِ موسى وفرعون، وقد عُرِضَتْ فيها قوَّةُ السُّلطان والحكم، وكيف باءت بالبوار مع البغيِ والظلمِ والكفر بالله والبعدِ عن هداه، والآن تجيءُ قصةُ قارون لتعرِضَ سلطانَ المال والعلمِ، وكيفَ ينتهي بالبوارِ مع البغيِ والبطَرِ والاستنكارِ على الحقِّ وجحودِ نعمةِ الخالقِ، وتُقرِّرَ حقيقةَ القِيَم فترخِّصَ من قيمةِ المالِ والزينةِ إلى جانبِ قيمةِ الإيمانِ والصلاحِ مع الاعتدالِ والتوازنِ في الاستمتاع بطيباتِ الحياة دون علوٍّ في الأرض ولا فساد[(٢)].

إننا نستفيدُ من قصةِ موسى وقارون استعلاءَ الإيمانِ على الكفرِ وظهورِ الحقِّ على الباطلِ، وأنَّ المال أحيانًا يكونُ سببًا لفتنةِ صاحبهِ وإضلاله وتكبرِهِ على الناصحين، كما أنَّهُ سببٌ لغوايةِ الإنسانِ واعتمادِهِ على قوَّتِهِ وعلمِهِ ناسيًا أنَّ اللهَ مسبِّبُ الأسبابِ، وأنَّهُ يَبْتَلي بالخيرِ كما يَبْتَلي بالشرِّ فتنةً. إنَّ قومَ قارونَ ناصحُوهُ وقالوا ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦-٧٧]، ولكنَّهُ نسِيَ هذا كلَّهُ وقال ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾

---

(١) فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (٤/ ١٧٩).

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٧٢).

ونسيَ أنَّ الله ﴿ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ [القصص:٧٨]، فقد كانتْ عاقبتُهُ كغيرِهِ من الطُّغَاةِ الذينِ أنزلَ اللهُ بهم بأسَهُ ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠]، فنهايته ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص:٨١-٨٢]، وإنَّنا حينَ ننْظرُ إلى واقعِ النَّاسِ اليومَ ونظرتِهم للمادةِ والعلمِ في الشرقِ والغربِ نجد أوجهَ الشَّبَهِ بينهم وبين تلكَ الأقوام الذين غرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا فنسُوا أنفسَهم ونسوا حظًا مِمَّا ذكِّرُوا بهِ، وأسندوا الأفعال إلى ذواتِهم، وما عِلِمَ هؤلاء وأولئك أنَّ ما بهم من نِعْمَةٍ فمِنَ الله وأنَّ للباطلِ نهاية ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

الموعظة الثالثة: قصةُ البقرةِ وما يُستفادُ منها.

إنَّ قِصَّةَ البقرَةِ كثُرَتْ فيهَا الأقاويل، وهي مأخوذةٌ من بني إسرائيلَ الذين قال عنهم رسولنا محمد ﷺ: **{حَدِّثُوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَج}**(١)،

(١) (المحقق): أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٧٤)، وابن أبي شيبة (٩/ ٦٢)، وأبو داود في سننه (رقم ٣٦٦٢)، والحميدي في مسنده (رقم ١١٦٥) من حديث محمد بن عمرو عن =

وهذه القصةُ لها فوائدها وثمارها، فقد عالجَتْ قضايا الإيمانِ بالله والإيمانِ برسولِهِ والإيمان بالبعث والنشور. إنَّ في هذه القصة القصيرة كما يعرضها السِّياقُ القرآني مجالٌ للنظر في جوانبٍ شتَّى؛ جانبِ دلالتِها على طبيعةِ بني إسرائيل وجبلَّتِهِم الموروثة، وجانبِ دلالتِها على قُدْرَةِ الخالقِ وحقيقةِ البعثِ وطبيعةِ الموتِ والحياةِ، ثم جانبِ الأداءِ الفنِّي في عرْضِ القصَّةِ بدءًا ونهايةً واتساقًا مع السياق[1]. روى ابن أبي حاتم بالسَّند المتصل إلى محمد بن سيرين[2] عن عَبيدَةَ السَّلْمَانِي[3] قال: كان رجلٌ من بني إسرائيل عقيمًا، وكان له مالٌ كثيرٌ، وكان ابن أخيهِ وارثُهُ فقتله، ثم احتمله ليلاً فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدَّعِيهِ عليهم حتى تسلَّحُوا وركب بعضهم على بعض،

=

أبي سلمة عن أبي هريرة، وهو حديث صحيح.

(١) في ظلال القرآن (١/ ٦٤).

(٢) (المحقق): محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر إمام وقته، روى عن مولاه أنس بن مالك وزيد بن ثابت والحسن بن علي بن أبي طالب وجندب بن عبد الله البجلي وحذيفة بن اليمان ورافع بن خديج وسمرة بن جندب وابن عمر وابن عباس وعثمان بن أبي العاص وعمران بن حصين وجمع من الصحابة وعبيدة السلماني، قال ابن سعد كان ثقة مأمونًا عاليًا رفيعًا فقيهًا إمامًا كثير العلم ورعًا. توفي سنة ١١٦هـ (تهذيب التهذيب ٩/ ١٩١).

(٣) (المحقق): عَبيدَةَ بن عمرو ويقال بن قيس بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يلقه، وروى عن علي وابن مسعود وابن الزبير، وروى عنه عبد الله بن سلمة المرادي وإبراهيم النخعي وأبو إسحاق السبيعي ومحمد بن سيرين، ورُوِيَ عن ابن سيرين: ما رأيت رجلاً أشدَّ توَقِّيًا منه، مات سنة ٧٣هـ. (تهذيب التهذيب٧/ ٧٨).

فقال ذووا الرأي منهم والنُّهى: علامَ يقتل بعضكم بعضًا وهذا رسول الله فيكم، فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة:٦٧]، قال: فلو لم يعترضوا لأَجْزَأَتْ عنهم أدنى بقرة، ولكنَّهُم شدَّدُوا فشدَّدَ الله عليهم؛ حتى انتهوا إلى البقرة التي أُمِرُوا بذبحها فوجدوها عند رجلٍ ليس له بقرة غيرها فقال: والله لا أنقصها عن مِلءِ جلدها ذهبًا، فأخذوها بملء جلدها ذهبًا، فذبحوها؛ فضربوه ببعضها، فقام فقالوا من قتلك؟ فقال هذا وأشار إلى ابن أخيهِ ثم مال ميتًا(١)(٢). وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من وجه آخر عن سرور بن المغيرة بن زاذان عن عبادة بن منصور عن الحسن عن حديث أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: {**لولا أنَّ بني إسرائيل قالوا** ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:٧٠] **ما أُعْطُوا أبدًا، ولو أنهم اعترضُوا بقرة من البقر فذبحوها لأَجْزَأَتْ عنهم، ولكن شدَّدُوا فشدَّدَ الله عليهم**}، وهذا حديث غريبٌ من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة(٣)(٤).

---

(١) اختصار ابن كثير (١/ ٦٥).

(٢) (المحقق): أخرج هذه القصة ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم ٦٩٠، ١/ ١٣٦).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١١١) ط دار إحياء الكتب العربية.

(٤) (المحقق): انتهى نصًّا من كلام ابن كثير في التفسير، وقال جمال الدين الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في تفسير الكشاف للزمخشري (١/ ٦٦) ط دار =

ويستفاد من هذه القصة أمور منها:

١ – أنَّ بني إسرائيل جُبلُوا على قتل الأبرياء.

٢– شدةُ محبتهم للمال.

٣– عدم ثقة بني إسرائيل بنبيِّهم موسى عليه السلام.

٤– أنَّ معالم الإيمان ظاهرة جليَّةٌ في صبر موسى عليه السلام على قومه.

٥– علمُ بني إسرائيل بمكانةِ موسى عند ربه فتجدهم يَلْجَئُون إليه عند الشَّدائد لكنَّهم لا يستطيعون تَحمُّلَ التكاليف الشرعية لضعف إيمانهم.

٦– قصةُ البقرةِ أكبرُ دليلٍ على إحياء الله للموتى حيث أنه يَضْرِبُ جُزءَ لحمٍ ميِّتٍ بجزءِ إنسانٍ ميِّت فيحيا؛ فهو أوضحُ للبيان من لو ضُرِبَ بجزءِ حيٍّ، ولكن القلوبَ الميِّتة لا تُبْصرُ الحقَّ بل تُنكِرُهُ كما قال

=

ابن خزيمة، بعد إيراده هذا الحديث: قلت: غريب، ورواه الطبري في تفسيره موقوفًا على ابن عباس ولم يقل فيه (والاستقصاء شؤم) وكذلك رواه أيضًا من كلام أبي العالية ورواه عبد الرزاق في تفسيره من كلام عَبيدة السلماني، وعزاه ابن كثير في تفسيره لابن مردويه في تفسيره عن سرور بن المغيرة عن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن حديث أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لولا أن بني إسرائيل قالوا ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ ما أعطوه أبدًا ولو أنهم اعترضوا إلى آخره، لم يقل فيه والاستقصاء شؤم، وروى البزار في مسنده من حديث عباد بن منصور عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إن بني إسرائيل لو أخذوا أدنى بقرة لأجزأتهم. انتهى.

الشاعر[١]:

قد تُنكِرُ العينُ نور الشمس من رَمَدٍ ... ويُنكرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ

---

(١) (المحقق): ينسب هذا البيت للبوصيري كما في إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص٥١، ونُسِبَ لغيره، انظر مجَانِي الأدب في حدائق العرب للويس شيخو ص٣٤٨.

الفصل الثالث: رحلة موسى عليه السلام في طلب العلم.

وتشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: سببُ رحلةِ موسى مع الخِضْر عليهما السلام.

وتحتوي على ثلاثة مشاهد إيمانية.

قال البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس: أن نوفًا البكالي[1] يزعمُ أنَّ موسى صاحبَ الخِضْر ليس هو مُوسى صاحبُ بني إسرائيل فقالَ ابن عباس: كذب عدو الله، حدثنا أُبي بن كعب أنه سَمِعَ رسول الله ﷺ يقول: **{إنَّ موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسُئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتبَ الله عليه إذ لم يرُدَّ العلمَ إليه؛ فأوحى الله إليه أنَّ لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلمُ منكَ قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذُ معك**

---

(١) (المحقق): نوف بن فضالة الحميري البكالي، شامي وهو بن امرأة كعب الأحبار روى عن علي وأبي أيوب وثوبان وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار وعنه أبو إسحاق الهمداني وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير، وقال ضمرة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني كان نوفٌ إمامًا لأهل دمشق، وقال صفوان بن عمرو عن أبي عتبة الكندي استشهد مع محمد بن مروان في الصائفة، وقع ذكره في الصحيحين في حديث سعيد بن جبير عن بن عباس عن أبي بن كعب في قصة موسى والخِضْر، ذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات ما بين التسعين إلى المائة وذكره بن حبان في الثقات وقال كان راوية للقصص. (تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٣٦).

حوتًا فتجعله في مِكْتَلٍ فحيثما فقدتْ الحوتَ فهو ثَمَّ، فأخذَ حُوتًا فجعلَهُ في مِكْتَلٍ ثم انطلقَ وانطلقَ معه فتاهُ يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصَّخْرَةَ وضعا رؤُوسَهُما فناما واضطرب الحوت في المِكْتل فخرج منه فسقطَ في البحر[١] ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف:٦١]}[٢]، وهناك رواياتٌ أخرى تذكرُ أنَّ الحوتَ كان مشويًا والغلامُ مستيقظٌ، قال المفسِّرُون: إنما تزوَّدَا حوتًا مملحًا في زنبيل، وكانا يصيبان منه عند حاجتهما إلى الطعام، وكان قد جعلَ اللهُ فقدانهُ أَمَارَةً لهما على وِجْدَانِ المطلوبِ، والمعنى أَنَّهُما نسيَا بفقدِ أمْرِهِ، وقيلَ الذي نسي إنما هُوَ فتى موسَى لأَنَّهُ وَكَلَ أمْرَ الحوتِ إليه، وأَمَرَهُ أن يُخْبِرَهُ إذا فقدَهُ فلمَّا أتيَا إلى ساحلِ البحرِ وضعَ فتاهُ المكتل الذي فيهِ الحوت، فأحياهُ اللهُ فتحرَّكَ واضطرَبَ في المكتل، ثم انسرَبَ في البحْرِ، ولهذا قال ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف:٦١]، فلما جاوزا المكان الذي كان عند الصخرة وذهبَ الحوتُ فيه انطلقا، فأصابهما ما يُصيبُ المسافرَ من النَّصب والكلل، ولم يجدا النَّصَبَ حتى جاوزا الموضع الذي فيهِ الخِضْر[٣] ولهذا قال سبحانه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] وهذا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٤٢).

(٢) (المحقق): أخرجه البخاري في كتاب العلم باب ما يُستحَبُّ للعَالِمِ إذا سُئِلَ أَيُّ الناس أَعلمُ فيَكِلُ العلْمَ إلى اللهِ (حديث رقم ١٢٢).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٧-٢٨٨).

التفسيرُ هو الأقربُ لمعنى الآية؛ وهو كون الحوت مشويًا، فقولُ موسى عليه السلام ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ يدلُّ على أنَّ الغداءَ جاهزٌ وإلاَّ قال أَصْلِحْ غداءنا، وكونُ الناسي هو الغلام يدل عليه أيضًا قولُهُ ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف:٦٣]، ومجمع البحرين قال قتادة وغير واحد هما: بحرُ فارس مما يلي المشرق وبحرُ الروم مما يلي المغرب، وقال محمد بن كعب القرظي بمجمع البحرين عند طنجة والله تعالى أعلم[١]. إنَّ الغلامَ عندما نسِيَ الحوتَ فرحَ موسى لأنَّ الله أعلمَهُ متى فقدَ الحوتَ وجدَ العبدَ الذي هو أعلمُ منهُ؛ قال موسى عليه السلام ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:٦٤]، فرجعا يقُصَّانِ أثرهُما حتى انتهَيَا إلى الصَّخْرةِ فإذا رجلٌ مسجًّى بثوبٍ فسلَّمَ عليهِ موسى فقالَ الخِضْر وأنَّى بأرضكِ السلام، فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرئيل؟ قال نعم، قال: أتيتك لتُعلِّمني ممَّا عُلِّمت رشدًا[٢]. والعلمُ الذي علَّمَهُ الخِضْر لموسى عِلْمٌ ربَّانِيٌّ، قالَ العلماءُ: هذا العلمُ الرَّبَّانِي ثمرةُ الإخلاصِ والتقوى ويُسمَّى (العلم اللَّدنِّي)[٣] يُورثُهُ اللهُ لمن أخلَصَ

(١) (المحقق): انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٩٣).

(٢) اختصار ابن كثير (١/ ٨٥).

(٣) (المحقق): قال الجرجاني في التعريفات (١/ ٢٢٣) ط دار الكتاب العربي: (القرآن هو المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواترًا بلا شبهة، والقرآن عند أهل الحق هو العلم اللَّدنِّي الإجمالي الجامع للحقائق كلها). وقال علي القاري في مرقاة المفاتيح (١/ ٤٠٥)ط دار الكتب العلمية: والعلم نور في قلب المؤمن مقتبس من =

العبُوديَّة له، ولا يُنالُ بالكسبِ والمشقَّةِ، وإنما هو هبةُ الرَّحْمَنِ لمن خصَّهُ الله بالقُرْبِ والولايةِ والكرامةِ. ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦] أيْ هلْ تأذن لي في مرافقتك لأقتبس من علمك ما يُرشدني في حياتي؟ قال المفسرون: هذه مخاطبةٌ فيها ملاطفةٌ وتواضعٌ من نبي الله الكريم، وكذلك ينبغي أن يكونَ الإنسانُ مع من يُريد أن يتعلَّمَ منه[١].

بهذا الأدبِ اللائقِ نبي يستفهم ولا يجزم، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالم، ولكن علمُ الرجل ليس هو العلم البشري الواضحُ الأسباب القريب النتائج، إنما هو جانبٌ من علمِ الله في الغيبِ، أطلقَ الله عليه بالقدْرِ الذي أرادهُ للحكمةِ التي أرادَهَا، ومن ثَمَّ فلا طاقةَ لموسى بالصبْرِ على الرجلِ وتصرُّفَاتِهِ ولو كان نبيًّا رسولاً، لأنَّ هذه التصرفات حسب ظاهرها

= مصابيح مشكاة النبوّة من الأقوال المحمدية والأفعال الأحمدية والأحوال المحمودية يُهْتَدى بها إلى الله وصفاته وأفعاله وأحكامه فإن حصل بواسطة البشر فهو كسبي **وإلا فهو العلم اللَّدني** المنقسم إلى الوحي والإلهام والفراسة، فالوحي كلام إلهي يصل إلى القلب النبوي فما أنزل صورته ومعناه ولا يكون إلا بواسطة جبريل فهو الكلام الإلهي، وما نزل معناه على الشارع فعبر عنه بكلامه فهو الحديث النبوي، والإلهام لغة الإبلاغ وهو علم حق يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده، والفراسة علم ينكشف من الغيب بسبب تفرُّسِ آثار الصور، فالفرق بين الإلهام والفراسة أنها كشف الأمور الغيبية بواسطة تفرس آثار الصور والإلهام كشفها بلا واسطة والفرق بين الإلهام والوحي أنه تابع للوحي من غير عكس). انتهى بتصرف.

(١) تفسير سورة الكهف للصابوني (ص٣٣-٣٤).

قد تصطدم بالمنطق العقلي، وبالأحكام الظاهرة، ولا بُدَّ من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيَّبة، وإلا بقيت عجيبة تُثيرُ الاستنكارَ، لذلك يَخْشى العبدُ الصالحُ الذِي أوتيَ العلمَ اللَّدنِّي على موسى ألاَّ يَصْبر على صُحبتِهِ وتصرُّفاته ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ [الكهف:٦٧-٦٨]، ويعزمُ موسى على الصبرِ والطاعةِ ويستعينُ اللهَ ويُقدِّم مشيئته ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف:٦٩] فيزيدُ الرجلُ توكيدًا وبيانًا ويَذكرُ لهُ شرطَ صُحبتِهِ قبلَ بدءِ الرحلةِ؛ وهو أن يصبرَ فلا يَسْأَلُ ولا يَسْتفسِرُ عن شيءٍ من تصرُّفاتِهِ حتى يكشفَ لهُ عن سِرِّها ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف:٧٠]، ويرضى موسى وإذا نحن أمام **المشهد الأول:** ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ [الكهف:٧١]، سفينةٌ تحملهما وتحملُ معها ركابًا وهم في وسطِ اللُّجة ثم يجيءُ هذا العبدُ الصَّالحُ فيَخْرِقُ السفينةَ، إنَّ ظاهر الأمر هنا أنَّ هذهِ الفعلةُ تعرِّض السفينةَ ورُكابها لخطر الغرق، وتؤدِّي بهم إلى هذا الشرِّ، فلماذا يُقْدِمُ الرجلَ على هذا الشر؟ لقد نسيَ موسى ما قالهُ هوَ وما قاله صاحبُهُ أمامَ هذا التصرُّفِ العجيبِ الذي لا مُبرِّرَ لهُ في نظرِ المنطقِ العقليّ، والإنسانُ قد يتصوَّرُ المعنى الكُلِّي المجرّد، ولكنَّهُ عندمَا يصطدمُ بالتطبيقِ العملي لهذا المعنى والنموذج الواقعي منه يستشعرُ له موقفٌ غير التصوّر النظري، فالتجربةُ العمليةُ ذاتُ طعم آخر غير التصور المجرد. وها هو ذا

موسى الذي نُبِّئَ من قبل إلى أَنَّهُ لا يستطيعُ صبرًا على ما لم يُحِطْ بهِ خُبْرا، فاعتزَمَ الصَّبْرَ والاستعانةَ بالمشيئة وبذلِ الوعدِ؛ ها هُوَ ذا يصطدمُ بالتجربةِ العلميَّةِ لتصرُّفاتِ هذا الرجل فيندفعُ مستنكرًا.

نعم إنَّ طبيعةَ موسى تغْلِبُ عليها المبادرةُ كما يظهَرُ من تصرُّفِهِ في كُلِّ أدوارِ حيَاتِهِ؛ منذُ أن وَكَزَ الرجلَ المِصْرِي الذي اقتتلَ مع الإسرائيلي فقتلهُ في وكزةٍ واحدةٍ من وكزاته، ثم أنابَ إلى ربِّهِ مُستغفِرًا معتذرًا حتى إذا كان اليومُ الثاني ورأى الإسرائيلي يقتتلُ مع مِصْريٍّ آخر همَّ بالآخرِ مرةً أخرى. نعم إنَّ طبيعةَ موسى هي هذه الطبيعةُ، ومِن ثَمَّ لم يصبر على فعلةِ الرجل[١]، ولم يستطيعِ الوفاءَ بوعدِهِ الذي قطعَهَ أمامَ غرابتِهَا، ولكنَّ الطبيعةَ البشريَّةَ كلُّها تلتقِي في أنَّها تَجِدُ للتَّجربة العمليَّة وقعًا وطعمًا غير التصور النظري، ولا تُدرك الأمورَ حقَّ إدراكِها إلا إذا ذاقتْهَا وجربتْهَا ومن هنا أسرَعَ موسى مُستنكِرًا ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف:٧١]. وفي صبرٍ ولُطفٍ يُذكِّرُهُ العبدُ الصَّالحُ بما كانَ قد قالَهُ منذُ البداية ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٢]، ويعتذرُ موسَى بنسيانِهِ، ويطلبُ إلى الرجلِ أن يقبلَ عُذْرَهُ ولا يُرهقَهُ بالمراجعةِ والتذكير ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣]، ويقبلُ الرجلُ اعتذارَهُ ويأتي المشهد الثاني ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ [الكهف:٧٤].

---

(١) (المحقق): الرجل: الخِضر.

المشهد الثاني: قتل الغلام، وإذا كانت الأولى خرق السفينة واحتمال غرق من فيها فهذهِ قتلُ نفسٍ؛ قتلُ عمْدٍ لا مجرَّد احتمال، وهي فظيعةٌ كبيرةٌ لم يستطِعْ مُوسى أن يصبرَ عليهَا على الرَّغْمِ من تذكُّرِهِ لوعدِهِ ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ [الكهف:٧٤]، فليس ناسيًا في هذهِ المرحلةِ ولا غافلاً، ولكنَّهُ قاصدٌ أن يُنكرَ هذا المنكرُ الذي لا يصبرُ على وقوعِهِ ولا يتأوَّلُ له أسبابًا، والغلامُ في نظرهِ بريءٌ لم يَرْتكِبْ مَا يُوجبُ القتلَ، بل لم يَبْلُغِ الحُلُم حتى يكونَ مؤاخذًا على ما يصدرُ منه، ومرةً أخرى يردُّهُ العبدُ الصَّالحُ إلى شرْطِهِ الذي شرَطَ، ووعدِهُ الذي وعد، ويُذكِّرُهُ بما قالَهُ له أول مرة، والتجربةُ تصدِّقُهُ بعد التجربة ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ [الكهف:٧٥]، وفي هذه المرة يُعيِّن أنه قال له ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ ﴾، (لك) أنتَ على التعيينِ والتحديدِ فلم تقتنعْ وطلبتَ الصُّحْبَةَ، وقبلتَ الشرطَ. ويعودُ موسى إلى نفسِهِ ويجدُ أنَّهُ خالفَ عن وعدِهِ مرتين، ونسيَ ما تعهَّدَ بهِ بعدَ التذكيرِ والتفكيرِ؛ فيندفعُ ويقطعُ على نفسِهِ الطريق ويجعلها آخرَ مرةٍ أمامَهُ ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾ [الكهف:٧٦].

المشهد الثالث: إقامة الجدار.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ [الكهف:٧٧]، إنهما جائعان، فهما في قرية(١)

---

(١) (المحقق): وهي الأيلة التي على البحر الأحمر (القلزم) نصَّ عليه محمد بن سيرين عند =

أهلُها بخلاء لا يُطعمون جائعًا ولا يستضيفون ضيفًا ثم يجدُ أنَّ جدارًا مائلاً يهمُّ أن ينقضَّ فإذا الرجلُ الغريبُ يُشغلُ نفسَهُ بإقامةِ الجدارِ دون مقابل![1]، وهنا يَشْعُرُ موسى بالتناقضِ في الموقف، ما الذي يدفعُ هذا الرجلَ أن يُجهدَ نفسَهُ ويقيمَ جدارًا يهمُّ بالانقضاضِ في قريةٍ لم يُقدِّم لهما أهلها الطعام وهما جائعان، وقد أبوا أن يُضيِّفُوهما؛ أفلا أقلَّ من أن يطلبَ عليه أجرًا يأكلان منه؟ ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف:٧٧]، وكانتْ هي الفاصلةُ فلم يعد لموسى من عُذْرٍ ولم يعدْ للمحبَّةِ بينَهُ وبين الرجلِ مجال[2]. ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف:٧٨]، وقد أخذَ العبدُ الصَّالحُ يُبيِّنُ لموسى أسرارَ هذه القصةِ. وإنَّ المتدبِّرَ لهذه القصة يَتبيَّنُ له أنَّ وراء هذهِ التدابيرُ البشريَّةِ حكمةٌ إلهيةٌ لا يُدركها البشرُ، وأنَّ هذه القصة تَحملُ بين طيَّاتها العظاتَ والعبرَ، وفيها درسٌ لا ينساه الإنسانُ العاقلُ؛ ليعلمَ أنَّ فوقَ كل ذي علم عليم. وأنَّ الأمور لا تؤخذُ على ظواهرِها،

=

الطبري (١٥/ ٢٨٨)، وسبق التعريف بها في حاشية ٤ ص٨٤ من هذا الكتاب.

(١) (المحقق): قال الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩٠): (والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله عز ذكره أخبر أنَّ صاحب موسى وموسى وجدا جدارًا يريد أن ينقضَّ فأقامه صاحب موسى؛ بمعنى عدل ميلَهُ حتى عاد مستويًا، وجائزٌ أن يكونَ كان ذلك بإصلاح بعد هدم، وجائزٌ أن يكون كان برفعٍ منه له بيده فاستوى بقدرة الله وزال عنه ميله بلطفه).

(٢) في ظلال القرآن / ٣٩٦-٣٩٨.

فالورعُ مطلوبٌ في كلِّ أمر مُشاهَد، وبعضُ العلل سببٌ لصحةِ الأبدان، والبشرُ معرَّضُونَ للخطأ والنسيان، والكمالُ لله، وعلمُ الإنسانِ محْدُودٌ، والحِكَمُ تدورُ وراءَ الأشياءِ الغيبيَّةِ التي لا يَعْلَمُهَا إلا الله. فهذا موسى بحكم تجاربهِ وما أَطْلَعَهُ الله عليهِ من الأمورِ ظنَّ أَنَّهُ وصَلَ إلى مستوى عالٍ من العلم، فأرادَ اللهُ أن يُطلِعَهُ على علمٍ لم يكن موجودًا لديهِ؛ ليأخذ العلمَ من بعدهِ. وها هو يَسلمُ من القتلِ ليهلك فرعون، وتُخرقُ السفينةُ لتسلَمَ من الاغتصاب، ويُقتلُ الغلامُ لينجو والداه، ويبني الجدارَ ليسلَمَ ما تحتهُ، هذه الحِكَم المتعاكِسَة توقفُ الإنسانَ على معالمِ الطريقِ، فلا يَدَّعِي الكمالَ والعلمَ والقُدرةَ التي ليستْ من اختصاصِهِ، فعندَ ذلك يكونُ قدْ عَرفَ قدْرَ نفسِهِ، فهذا نبيُّ الله موسى لما عَرفَ الحقيقةَ لم تَمْنَعْهُ نبوَّتُهُ من طلبِ العلمِ والسَّفرِ إليه، وارتكابِ المخاطرِ من أجلهِ، يدلُّ على هذا قوله ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾[الكهف:٦٠].

وإنِّي أرى الحكمَ ظاهرةً في قصَّةِ موسى عليه السلام التي تُعالج كثيرًا من قضَايَا العصورِ المتتابعَةِ؛ إذا أمعنَ الإنسانُ نظرَهُ فيها، ففيها العظاتُ والعبرُ للحاكمِ والمحكومِ، للعالمِ والجاهلِ، للغنيِّ والفقيرِ، للقويِّ والضعيف. وصَدَقَ الله حين قال ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[يوسف:١١١].

المبحث الثاني: مُحَاجَّةُ آدمَ لموسى عليهما السلام وما فيها من الإيمان بالغيب.

روى البخاري في صحيحه قال حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليثُ حدثنا عقيل عن ابن شهاب حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: {**احتجَّ آدمُ وموسى فقال موسى أنتَ آدمُ الذي أخرجتَ ذريَّتك من الجنة، قال آدم أنتَ موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامِهِ، ثم تلومني على أمرٍ قدْ قدَّرَهُ اللهُ عليَّ قبلَ أن أُخلق، فحجَّ آدمُ موسى**}[(١)(٢)].

وذكره مسلمٌ في صحيحِهِ[(٣)] بزيادةِ رواياتٍ مختلفةٍ؛ منها قوله حدثنا إسحاق بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن يزيد الأنصاري حدثنا أنس بن عياض حدثني الحارث بن أبي ذباب عن يزيد وهو ابن هُرْمُز وعبد الرحمن الأعرج قال سمعنا أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {**احتجَّ آدمُ موسى عليهما السلام عند ربهما فحجَّ آدمُ موسى، قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيديه، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطْتَ الناس بخطيئتكَ إلى الأرضِ، فقال آدمُ أنت موسى الذي اصطفاكَ اللهُ برسالتهِ وبكلامهِ وأعطاكَ الألواحَ فيها بيانُ كلِّ شيء، وقرَّبك نجيًا فبكَمْ وجدْتَ اللهَ كتبَ التوراةَ قبل أن أُخلق، قال**

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٧٧) ط السلفية.

(٢) (المحقق): أخرجه البخاري في كتاب القدر باب تحاجّ آدم وموسى عند الله (حديث رقم ٦٢٤٠).

(٣) (المحقق): في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (حديث رقم ٢٦٥٢).

موسى عليه السلام: بأربعين عامًا، قال آدم فهل وجدت فيها ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ قال نعم، قال أفتلومُني على أنْ عملتُ عملاً كتبَهُ الله عليَّ أنْ أعمَلَهُ قبلَ أنْ يَخْلُقَني بأربعين سنة، قال رسول الله ﷺ فحجَّ آدمُ موسى}[1]، وقد صحَّحَ الألباني هذا الحديث لكن بألفاظٍ غيرِ هذهِ الألفاظ، ورَمَزَ لمن رواه من المحدثين (حم، ق، د، ت، هـ)[2] عن أبي هريرة[3]، وفي هذا الحوار بيانٌ لحرصِ الأنبياءِ عليهم السلام على أُمَمِهم، وفيه بيانُ كتابةِ أعمالِ العبدِ قبلَ أن يُخلق؛ إلاَّ أنَّ العبدَ مأمورٌ بفعلِ الطاعةِ وتجنُّبِ المعصية، ولا يجوزُ الاحتجاجُ بالقدرِ، وإذا فعلَ الإنسان معصيةً يتوب من ساعتِهِ، والله يقبل التوبة ما لم تبلغ الروح الحلقوم. ولا لومَ في معصيةٍ تاب منها صاحبها، وأمَّا اللَّومُ على فعلِ المعاصي بعد معرفة الإنسانِ لها فباقي؛ لأنَّ اللهَ يأمرُ بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر. وقد حصلَ التَّوجيهُ من آدمَ لموسى، والملاطفةُ الحسنةُ كما حصل له من الخِضْر.

وهل كان الاجتماعُ بين آدمَ وموسى في السماءِ أو في الأرضِ؟ في الحياةِ أو بعد الموت؟ إننا نؤمنُ بصدْقِ خبرِ الرسول ﷺ، كما نؤمنُ بجمعِ الأنبياء

(١) صحيح الإمام مسلم شرح النووي (١٥/ ١٠١-١٠٢).

(٢) (المحقق): حم: مسند أحمد بن حنبل، ق: البخاري ومسلم، د: أبو داود في سننه، ت: سنن الترمذي، هـ: سنن ابن ماجه. وانظر تخريج الألباني له في السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٧٧-رقم ٩٠٩) و(٤/ ٢٧٧رقم ١٧٠٢).

(٣) صحيح الجامع الصغير لمحمد بن ناصر الدين الألباني (١/ ٩٨).

في بيتِ المقدس وصلاةِ النبي محمد ﷺ فيهم واللُّقيَا بهم في السماوات، وأنَّ موسَى في السماءِ السادِسةِ، وقد طلب التخفيفَ عن أمةِ محمدٍ في فرضية الصلاةِ؛ وهذه هي عقيدة المسلم الحق، والله أعلم.

المبحث الثالث: شمائلُ موسى عليه السلام، وما تضمَّنتْهُ من معالمِ إيمانية.

من خلال دراستي لحياةِ موسى عليه السلام تبين لي بعض شمائلِهِ التي اتَّصَفَ بها منها:

١- الجاه: فهو عليه السلام وجيهًا عند ربِّهِ حينما سأله إرسال أخيه هارون ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [طه:٣٦].

٢- القُوَّة: فكما هو قويٌّ في الإيمان؛ فهو قويٌّ في الجسم، فوكزَةٌ واحدةٌ قتلتْ رجلاً، وحملُهُ لغطاءِ البئر الذي لا يحمله إلا عددٌ من الرجال.

٣- الحلم: فقد آذاهُ قومُهُ وقالوا: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف:١٢٩]، ويقولون ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾[المائدة:٢٤]، ومع ذلك فإذا أَلَمَّتْ بهم حاجةٌ طلبوه فاستغاثَ لهم ولم يُؤاخذهم، وتناسى ما قالوه وقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

٤- الصبر: لقد وصفهُ الله به من بينِ أولي العزمِ، وهو الذي يُوصِي به قومه ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾[الأعراف:١٢٨].

٥- الحياءُ: لقد أخبر النبي ﷺ في الحديثِ الذي حدَّث بهِ محمد بن رافع حدثنا عبدالرزاق أخبرنا محمد عن همَّام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: {كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراةً ينظرُ بعضُهُم إلى سَوءَةِ بعض وكان

موسى عليه السلام يغتسلُ وحدهُ، فقالُوا واللهِ ما يمنعُ موسى أن يغتسل معنا إلا أَنَّهُ آدَرُ[١]، قال فذهبَ مرةً يغتسلُ فوضعَ ثوبَهُ على حجَرٍ ففرَّ الحجرُ بثوبه، قال فجمَعَ موسى بأثرِهِ يقول حجر ثوبي، حتى نظرتْ بنو إسرائيل إلى سوءةِ موسى، فقالوا: واللهِ ما بموسى من بأسٍ فقامَ الحجَرُ بعدُ حتى نُظِرَ إليه، قال فأخذَ ثوبه فطفِقَ بالحجرِ ضربًا. قال أبو هريرة واللهِ إنَّه بالحجر نَدَبٌ ستةٌ أو سبعةٌ ضربُ موسى عليه السلام بالحجر}[٢][٣].

يقولُ النووي: وفي هذا الحديث فوائد منها: أنَّ فيه معجزتان ظاهرتان لموسى عليه السلام إحداهما مشيُ الحجَرِ بثوبهِ إلى بني إسرائيل، والثانية حصولُ النَّدَبِ من الحجرِ، ومنها وجودُ التمييز في الجماد كالحجر ونحوه[٤]. وفي هذا أُنزِلَ قوله تعالى[٥]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب:٦٩]. ولا يُستغربُ من قومٍ لم يتلقَّوا

---

(١) أي عظيم الخصيتين، شرح النووي (١٥/ ١٢٦).

(٢) صحيح مسلم شرح النووي (١٥/ ١٢٦).

(٣) (المحقق): وأخرجه البخاري في كتاب الغسل باب من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة حديث رقم ٢٧٨، وانظر صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل موسى عليه السلام حديث رقم ٣٣٩.

(٤) الشرح للنووي (٨/ ١٢٦) ط دار الفكر.

(٥) (المحقق): وقيل إنها نزلت في آذى بني إسرائيل لموسى بأنه أبرص، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠-٥١).

تربيتَهُم الأولى من وحيِ الله أنْ يتعرَّضُوا لإنسانٍ يترفَّعُ عن الدنيا، ولم ينزلِ إلى مستواهمُ الهابط، ولو لم يأتيهم من دَلائِلِ الإيمانِ به إلا هذا الحجر [لكان دليلاً كافيًا] (١) على صدق ما يدَّعِي من النبوَّةِ، ولكنَّ الأمر كما قال الله ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

٦- شدَّتُهُ في الحق: كما حدَثَ في إنكارهِ على تصرُّفاتِ الخِضْر الظاهرَةِ، ولومِهِ لأخيه هارون، وتحريقِهِ للعجل.

٧- الأمانة: وقدْ وَصَفَتْهُ بنتُ شعيبٍ حينَ كانَ يَمْشي ولا يلتفتُ إليها.

٨- الحميَّةُ: حينَ أظهَرَ فرعونُ مِنَّتَهُ عليه، وأنَّهُ تربَّى في بيتِهِ قال ﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء ٢٢].

٩- الحُكْمُ والعلم: فقد ملَّكَهُ اللهُ بلاد فرعونَ وقومِهِ، فصارَ حاكمًا، قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص:١٤]، إضافةً إلى أنَّهُ كليمُ الله.

(١) (المحقق): مابين المعكوفتين مني لسلامة الصياغة، وفي الأصل: لكفايةٌ دليلاً.

المبحث الرابع: أسلوبُ موسى عليه السلام في الدَّعوةِ، ومعَالِمُ الإيمانِ فيها.

لقد جمعتْ دعوةُ موسَى عليه السلام بين الدَّعْوةِ السِّرِّيَّةِ والدَّعْوةِ الجهريَّةِ، كما جمعتْ بين أساليبٍ مختلفةٍ على حسبِ الموقفِ والظروفِ والملابساتِ، فأحيانًا يَسْتَعمِلُ أسلوبَ الترغيبِ وأحيانًا أسلوبَ الترهيبِ، ومرةً أسلوبَ الجدلِ والمناظرةِ، وأخرى بالحجَّةِ والبرهانِ، وأحيانًا بالقصَّةِ والحوارِ؛ وإليكَ نماذج من هذه الأساليب:

أولاً: الدَّعوةُ السِّرِّيَّة. لقد استعملَ موسى عليه السلام الدَّعْوَةَ السِّرِّيَّةَ مع بعضِ الشَّخْصيَّاتِ في قصْرِ فرعونَ. ظهرتْ معالمُ الإيمان فيهم عندما أَلَمَّت بموسى حاجةٌ تدعُو إلى الوقوفِ بجانبِهِ، كَمَا في قصةِ الرَّجُلِ الذي جاءَ من أقصى المدينةِ يُخبرُ موسى بما يَكيدُ لهُ القومُ من القتلِ، كما قال تعالى ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص:٢٠]. كما أثَّرتِ الدعوةُ السِّرِّيَّةُ في نفسِ رجلٍ آخرَ من آل فرعون، آمنَ وكتَمَ إيمانهُ، وعندمَا قالَ فرعون ﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر:٢٦] سارَعَ في الحوارِ المملوءِ بالبلاغةِ والحكمةِ والإيمانِ قائلاً ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾، ثم أَخذَ يُبيِّنُ ما لدَى موسى من الدَّلائلِ الوَاضِحَةِ على صِدْقِ ما يقول ﴿ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ كاليدِ والعصا وبعدَ ذلك قال ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾ وأنتم سالمون ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ

﴿ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ وهو أسلوبٌ منطقيٌّ ومعقولٌ، ثمَّ يُبيِّنُ ما عندَ الله من الجزاءِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٨]، ثم تدرَّجَ معهم إلى الواقعِ الذي يَعيشونَ فيهِ، وما وراءَهُ من المخاطِرِ ويُقال لهُ (أسلوبُ التدرُّج). لقد ضربَ لهم الأمثلةَ المحسُوسَةَ مثلَ يومِ الأحزابِ في الأممِ الماضيةِ منطلِقًا من الواقع قائلاً ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ لكن ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ [غافر:٢٩]. ثم بيَّنَ لهم تفاهَةَ الدُّنيا بقولِهِ ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [غافر:٣٩]، وهذهِ من معالمِ الإيمانِ في الدَّعوةِ السِّرِّيَّةِ الأولى، فهي دعوةُ الإيمانِ والعلْمِ والتاريخ.

ثانيًا: الدَّعوةُ الجهْرِيَّة. لقد استعمل موسى أسلوبَ البرهانِ في دعوتِهِ الجهريَّةِ، فها هو يعرضُ الدلائلَ المحسوسةِ، ولكنْ بلطفٍ ولينٍ مُمتثلاً أمرَ ربِّهِ قائلاً: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف:١٠٤-١٠٥]. ويبدأُ الحوارُ فيقولُ فرعون: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٠٦]. ويُظهِرُ موسى المعجزاتِ الإلهيَّةِ الخارقةِ للعادة (اليدُ والعصا)، ثم تُوجَّهُ التُّهمُ إليهِ وإلى أخيهِ بأنَّ هذا سحرٌ من جنسِ ما يصنعُهُ السَّحَرةُ، ولكن أنظِرُوهُ وأخاهُ وأرسلوا إلى جميعِ السَّحَرةِ، ولما جاءَ السَّحَرةُ قالوا إذا غلَبْنَا موسى هل لنا

من أجر؟ فوعدَهُم فرعونُ بالجائزةِ العظيمةِ، وأن يكونوا من المقرَّبينَ لديْهِ، ولما شَاهَدَ موسى هذا التصرُّف زادهُ إيمانًا بالله واعتمادًا عليه ولكنَّهُ استعملَ أسلوبًا آخرَ هو أسلوبُ الترهيب. لقد بيَّن لهم موسى عليه السلام أنهم إنِ استمرُّوا في عنادِهِم وعدمِ تصدِيقِهِم، أنَّهُ يُنزلُ بهم عذابَ الله قائلاً لهم ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه:٦١]، هذه الكلماتُ ألقاها موسى على مسْمَعٍ من النَّاس ليُحرِّكَ فيهم الخوف من الله ويُشعرهم بخيبةِ أَمَلِ الكاذب عليه. وفي هذه المواقف ظهرتْ معالمُ الإيمانِ عندما شَاهَدَ السَّحرةُ عدمَ فلاحِ سحْرِهِم، وأنَّ هذه العصا الصَّغيرة تلْقفُ ما يأْفِكُون ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الأعراف:١٢٠-١٢٢] ويأتي التهديدُ بالقتلِ والصَّلْبِ وتقطيعِ الأيدي والأرجلِ وما يزيدهم إلا أن يقولوا ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٥٠-٥١]، وتُوجَّهُ التُّهَمُ مرةً ثانيةً إلى موسى وأنه هو كبيرُهُمُ الذِي علَّمَهُمُ السحرَ فيَرُدُّوا المقالة ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وينقلبُ القسمُ الذي يُقسِمُونَ به قبلَ ساعةٍ حيث قالوا ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء:٤٤] إلى قولهم ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:٧٢-٧٣]ثم يأتي أسلوبٌ آخر (أسلوب الجدل).

إنَّ فرعونَ قد خابَ أملُهُ عندما آمنَ السحرةُ، ولم يُفدِ فيهم التهديد، وثبتُوا على الإيمانِ حتَّى نهايةِ الحياةِ، ويريدُ تبريرَ موقفِهِ الفاشلِ، فيقولُ وهو آخرُ سهمٍ في كنانتِهِ ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء:٢٧]، ويقولُ في شجاعةٍ مُصطنَعَةٍ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٢٣]، لكنَّ موسى النبيَّ الكليمَ يتناسى التُّهم التي وُجِّهَتْ إليه فيجيبُ جوابَ المبيِّنِ للحقيقةِ التي لا ينبغي أن يتجاهَلَهَا الناسُ فيقول ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء:٢٤]، فيلْتفتُ فرعونَ لمن حولَهُ في منتهى السُّخْرية ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء:٢٥]، إنها حالةُ المغلوبِ يلجأُ بعد التهديدِ بالقتلِ إلى حالةِ السُّخْرِيَةِ المصحوبةِ بالانهزام النفسي. بعد مُحاولةِ قتلِ موسى بنفسِهِ لجأَ إلى الاستعانةِ بجميعِ من في المدائنِ، إنَّهُ أسلوبٌ تَجْريبي لعلَّ وعسى أن ينجحَ هذه المرة، ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ [الشعراء:٥٣-٥٦]، لكنَّ إرادةَ الله التي منَعَتْ من قتلِهِ وهو رضيعٌ، وقيضتْ من يُدافِعُ عنهُ وهو في بيتِ فرعون، وباءتْ جميعُ المحاولاتِ بالفشلِ الذريع، فالمحاولةُ الأولى ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص:٩]، والمحاولةُ الثانيةُ: يأتي الرجلُ من أقصى المدينةِ يأمرُهُ بالخروج، والمحاولةُ الثالثة: يقومُ مؤمنٌ من آل فرعون يُدافعُ عنهُ بالحجَّةِ والبيانِ حتى يُظهرَ اللهُ أمرَهُ بالمعجزاتِ الظاهرةِ. هذه مواقفُ موسى

مع فرعون وقومِهِ، وصَدَقَ اللهَ حين قال ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[القصص:٥-٦].

ثالثًا: دعوةُ موسى لبني إسرائيل. إنَّ موسى قدْ خلَّصَهُ اللهُ من فرعونَ وقومِهِ واتَّجَهَ نحوَ بني إسرائيل، الذي كان يطلبُ من فرعونَ إرسالَهم معهُ، وها هيَ الفرصةُ قد سنحَتْ، ومنْ أوَّلِ وهلةٍ يغرسُ موسى الإيمانَ في نفوسِهِم، ويُشعرُهُم بأنَّ الاعتمادَ يجبُ أن يكونَ على اللهِ وليستْ على القوَّةِ الماديَّةِ فهذا فرعونُ لم ينفعْهُ مالُه وجنودُهُ ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[الأعراف:١٢٨]، ولكنَّ القومَ وقد تربَّوا على المادَّةِ وحبِّها لم يُصغُوا إلى ما يدعوهم إليه موسى، ويتمنَّوْنَ أموالَ قارونَ، ويطلبونَ من موسى المطالبَ من تغييرٍ للطعامِ وتفجيرٍ للعيون ورؤيةِ لله، ويقولون لموسى ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾[الأعراف:١٢٩].

إنَّها مواجهةٌ سيئةٌ ولكن موسى يتحلَّى بالصبرِ، ويطلبُ الفرجَ من الله ويوجِّهُ الخلقَ إلى خالِقِهم، وقد أمرَهُم بدخول الأرض المقدسة، ولكنهم أبو وبقُوا تائهينَ حتى فَنِيَ جيلُ الذِّلَّةِ والهوانِ، وقدْ عاقبهُمُ اللهُ بشتَّى العقوباتِ فمنهُم من لعَنَهُ اللهُ، ومنهُم من قلبهم قردةً، ومنهم من خَسَفَ به الأرض ، ومنهم من هَلَكَ بالغرَقِ . وقد أثنى اللهُ على بعضهم حينَ قال

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٩]، لكنَّهُم قلَّةٌ، ولعلَّ منهُم من جاءَ من أقصى المدينة يسعى، والذين تبرَّؤُا من قتلتِ الأنبياءِ، ومن أخفى إيمانه، ولكن مواقف بني إسرائيل غير المشرِّفة كثيرة، فعندما خرج بهم ليلاً ألقَوا عليهِ اللومَ، وأيقنوا بالهلاكِ، وقالوا إنَّا لمدركون، فما يزيد على كلمة ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢]، وهناك وجهُ شبهٍ بموقفِ نبينا محمد ﷺ مع صاحبهِ أبي بكر حينما قالَ لو نظروا إلى محَطِّ أقدامهم لأبصرونا فيقول له الرسول ﷺ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠]، هذه المواقفُ الإيمانيةُ تُعطِي الإنسانَ قوةً في الله، واعتمادًا عليه في كُلِّ مُلمَّةٍ، حيث إنَّ موسى مع قوةِ مالِهِ ورجالِهِ واجهَ أكبرَ طاغٍ في الأرضِ، وملَّكَهُ اللهُ أرضَهُ وديارَهُ بدون حرب ناريَّةٍ، كما واجهَ موسى السحرةَ بما لديهم من العلم بالسِّحْرِ وتأثيره، وسرعانَ ما انكمَشَ الباطلُ وظهر الحقُّ ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف:١١٨-١١٩]. إنَّها جولةٌ قصيرة غيرتْ مفاهيمَ الناسِ، وخَرَّ الباطلُ صريعًا، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨].

وإليك أثر دعوة موسى عليه السلام:

إنَّ دعوةَ موسَى تركتْ معالِمًا على طريقِ الحرِّيَّةِ للأفرادِ والشعوبِ،

ومعرفةِ التخلُّصِ من قبضَةِ الظُّلْمِ والطُّغْيَانِ، فقد كانَ فرعونُ مُستبدًّا بالقتلِ والاسترقاق، فمنَّ اللهُ على المستضعفينَ باستردادِ حقِّهم المغصوب، وارثينَ للأرضِ والدِّيَارِ ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص:٥-٦]، فقد قامَ موسى عليه السلام يُنادِي بالجهادِ ودخولِ الأرض المقدسة والاستيطان فيها، ولكن التربية الأولى تتركُ الآثارَ في نفوسِ أبناءِهَا، فقومٌ ألفوا الذلَّةَ والمهانَةَ، وبقوا طيلةَ حيَاتِهم أرقَّاءَ؛ من غيرِ اليسيرِ نقلهم مباشرةً إلى حياةِ العِزَّةِ والكرامَةِ إلاَّ بالإيمانِ باللهِ وحدهُ، فهو الكفيلُ بنقلِهم إلى الجهادِ والحريَّةِ، وفي هذا الموقفِ وحدَهُ وقفَ الإيمانُ يُناجي مُوجِدَهُ قائلاً ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٥]، وحصَلَ الانفصامُ وظهرتْ حقائقُ القومِ وخفَايَاهُم حينما قالوا ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة:٢٤]، وجديرٌ بأُمَّةٍ تَمْتَنِعُ عن الجهادِ وطاعةِ القيادةِ أن تبْقَى مُشَرَّدَةً طيلةَ حيَاتِهَا، كما قال تعالى ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٦].

إنَّنَا حينَما نتحدثُ عن معالمِ الإيمانِ في دعوةِ موسى ونلمحُ شخصيتَهُ عليه السلام فريدًا وحيدًا مُطاردًا في الطرقِ الصحراوية في اتِّجاهِ مدين

في جنوبِ الشَّامِ وشمالي الحجاز، مسافاتٍ شاسعة، وأبعاد مترامية، لا زادَ ولا استعداد. فقد خرجَ من المدينةِ خائفًا يترقبُ، وخرج مُنزعِجًا بنذارةِ الرجلِ الناصح لم يتهيأ ولم يتزوَّدْ ولم يتخذْ دليلاً. ونلمحُ إلى جانبٍ هنا؛ نفسُهُ متوجهةٌ إلى ربِّهِ، مُستسلِمَةٌ له متطلعةٌ إلى هداه ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص:٢٢]، ومرةً أخرى نجدُ موسى عليه السلام في قلْبِ المخافةِ بعد فترةٍ من الأمنِ بل من الرفاهية والطراءة[١] والنعمة، ونجده وحيدًا مُجرَّدًا من قوى الأرض الظاهرة جميعًا، ولكنَّ اليد التي رعتْهُ وحَمَتْهُ هناك ترعاهُ وتحميهِ هنا، ولا تُسلِّمْهُ لأعدائِهِ أبدًا[٢]، إنَّ معالمَ الإيمانِ ظاهرةٌ في مواقفِ موسى عليه السلام في حالةِ الرِّضَا والغضبِ، ففِي حالةِ قِتَالِهِ مع عدوِّهِ يقول ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾، وهو تائهٌ في الصحراء ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾، وهو يُسقِي الغنم ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾، وفي حالة إنكارِ الوجود يقول ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾، وفي حالةِ الخوفِ من فرعون ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾، وفي حالةِ جزَعِ القوم يقول ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾، وعندما عاقبهُ اللهُ قال ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾، وفي حالةِ

---

(١) (المحقق): قال في مختار الصحاح: طري: شيء طَرِيٌّ أي غضٌّ بيِّن الطَّرَاوَةِ و الطَّرَاءَةِ.

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٥).

الاتِّجاهِ لغيرِ اللهِ في عبادة غيره ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾، وفي مسيرِهِ مع الخِضْر يقول ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾، فهذهِ وغيرها من معالمِ الإيمانِ في دعوةِ موسى عليه السلام تُوقِفُ الإنسانَ على حقيقةِ الرسالةِ وصلاح حاملها.

وفاةُ موسَى عليه السلام

إنَّ الحياةَ على هذهِ الأرضِ لا تدوم لغير الله، ولو دامتْ لبقي أنبياءُ الله أحياءًا، وصَدَقَ اللهُ إذ قال ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]. فقد تُوفِّيَ كليمُ اللهِ موسى عليه السلام بعدَ أخيهِ هارونَ عليه السلام في أرْضِ التِّيهِ، ولم يدخل الأرض المقدسة ببني إسرائيل، وإنَّما دخلهَا بهِم يوشعُ بن نون، وقد كان عُمْرُ موسى ١٢٠ مائة وعشرين سنة[١]. وقد ذكر مسلم في صحيحه[٢] حديث وفاة موسى عليه السلام بقوله: حدثني محمد بن رافع، وعبد بن حميد؛ قال عبد أخبرنا، وقال ابن رافع: حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: أُرْسِلَ ملكُ الموت إلى موسى عليه السلام فلَمَّا جاءَهُ صكَّهُ ففقَأَ عينهُ، فرجع إلى ربِّهِ فقال أرسلتنِي إلى عبدٍ لا يُريدُ

---

(١) النبوة والأنبياء للصابوني ص١٨٥.

(٢) (المحقق): أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب وفاة موسى عليه السلام حديث رقم ٣٢٢٦، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام حديث رقم ٢٣٧٢.

الموتَ، قال: فردَّ اللهُ إليهِ عينهُ وقال ارْجعِ إليه فقل لهُ يضع يدَهُ على متْنِ ثوْرٍ فلَهُ بما غطَّتْ يدُهُ بكلِّ شعْرَةٍ سنة، قال أي رب ثم مَهْ، قال الموتُ قال فالآن، فسأَلَ اللهَ أن يُدْنيهِ من الأرض المقدسة رميَةً بحجَرٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: {فلو كنتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُم قبْرَهُ إلى جانبِ الطَّرِيقِ تحْتَ الكثيب الأحمر}[١]. وقد صحَّحَ الألباني هذا الحديث في [صحيح الجامع الصغير][٢]، ورمز لمن رواه من المحدثين بـ(حم، ق، ن) عن أبي هريرة[٣]. أقول إنَّ في هذا الحديثِ لدلالةٌ على ما يَتَّصِفُ بِهِ موسى عليه السلام من قوَّةٍ في الحقِّ، ومواجهةِ الخصمِ بالقوَّةِ والشَّجَاعَةِ. وقد تكلَّم أُناسٌ حولَ مواجهةِ موسى ولطمهِ لعينِ ملَكِ الموت، ولكن أقرب ما يقال إنه لم يعلم أنه ملَكُ الموتِ، بدليلِ أَنَّهُ لَمَّا جاءَهُ المرَّةَ الثانيَةَ لم يَفْعَلْ شيئًا وخضَعَ للأمرِ الواقعِ، وسلَّمَ أمرَهُ إلى اللهِ بل وبادَرَ ولم يَطْلُبِ التأجيل مع أنَّ اللهَ أعطاهُ مهلةً لو أرادها، واللهُ أعلم وهو الهادي إلى سواءِ السَّبيلِ، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبهِ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح مسلم شرح النووي (١٥-١٦/ ١٢٧-١٢٨).

(٢) (المحقق): في الأصل: (وقد صحح الألباني هذا الحديث في جامعه)، والجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي، وقد خرّج الألباني رحمه الله أحاديثه في (صحيح الجامع الصغير) و(ضعيف الجامع الصغير).

(٣) الجامع الصغير للألباني (١/ ٢١٦)، حم: أحمد في المسند، ق: متفق عليه، ن: النسائي.

الخاتمة

وتشتملُ على ثلاثةِ أمور هي:

الأمر الأول: في نتائج ما سبق في الأبواب والفصول من مباحث.

الأمر الثاني: في أثر دعوة موسى عليه السلام على الفراعنة وبني إسرائيل.

الأمر الثالث: منهج موسى في الدعوة ومعالم الإيمان فيها.

الأمر الأول: من خلال كتابةِ هذا البحث فيما سبَقَ بأبوابهِ الثلاثة، وبيان الاستفادةِ من المصادرِ والمراجعِ في دعوة موسى عليه السلام توصَّلْتُ إلى النَّتَائِجِ الرئيسيَّةِ التالية:

أولاً: أنَّ موسى عليه السلام بُعثَ في أُمَّةٍ فاسدةٍ قد سيْطَرَ عليها الظُلْمُ والاستعباد، وأنَّ ما في عالِمَنا اليوم من تقتيلٍ للأبرياءِ ما هو إلا ميراث لأولئك.

ثانيًا: أنَّ اللهَ لم يبْعث أُمَّةً إلا أَرْسَلَ لها رسولاً يُبيِّنُ لها معالم دينها، مصداقًا لقوله ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

ثالثًا: أنَّ رسالاتِ الأنبياءِ واحدة، كلُّهَا تدعوا إلى عبادةِ الله وحده لا

شريكَ له.

رابعًا: أنَّ كلَّ رسولٍ يأتي إلى قومِهِ بمعجزةٍ تُناسِبُ الزمانَ والمكانَ الذي بُعثَ فيه، وأنَّ مُعجزاتِ الأنبياءِ محدودةٌ بحيَاتِهم إلا معجزةَ محمدٍ ﷺ فإنَّهَا باقيةٌ إلى قيامِ الساعة، ودعوتُهم خاصةٌ بأقوامهم، ودعوةُ محمَّدٍ ﷺ عامة.

خامسًا: أنَّ الخلقَ وُلِدُوا على الحنيفيَّةِ السَّمْحَةِ؛ فاجتالتُهم[1] الشياطين.

سادسًا: أنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ الخلق إلا بعد بيانَ الخيرِ لهم كما قال ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء:١٥].

الأمر الثاني: بعدَ البحثِ العميقِ في دعوةِ موسى عليه السلام لفرعونَ وقومِهِ ولبني إسرائيلَ تبيَّن لي أنَّ دعوتَهُ لم تُثْمِر فيهم بالنسبة لقوتهِ وصبرِهِ وتَحمُّلِهِ، وما أعطاهُ اللهُ من المعجزاتِ الحسِّيَّةِ التي تُناسِبُ ما هم عليه من سِحْرٍ وشعوذةٍ للأسبابِ الآتية:

---

(١) (المحقق): أي استخفوا بهم وأخذوهم عن دينهم وجالوا معهم في الباطل، وقد جاء في صحيح مسلم في [كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار] من حديث عياض بن حمار المجاشعي أنَّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: {**ألا إنَّ ربي أمرني أَنْ أُعلِّمكُم ما جهلتُمْ ممَّا علَّمني يومي هذا، كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عَبدًا حلالٌ وإنِّي خَلَقْتُ عبادي حنفاءَ كُلهم وإنَّهم أتتْهم الشَّياطينُ فاجتالتهُم عن دينهم**}. وانظر شرح النووي (١٧/ ١٩٧).

أولاً: أنَّ سيطرةَ الحكَّامِ الظَّالمين أهانتْ قُواهُم فما استطاعُوا قبولَ الحقِّ وهذا ما حكاهُ الله عنهم بقوله ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾[يونس:٨٣].

ثانيًا: إغراؤُهم بالمادةِ وحبِّهم لَهَا، وهذا ما حكاهُ الله عنهم حين قال ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾[الزخرف:٥١-٥٤].

الأمر الثالث: ومن خلالِ بَحْثِي لحياةِ موسى عليه السلام تبيَّنَتْ لي أمورٌ كثيرةٌ منها:

أولاً: ما خصَّهُ الله به من الحفظ والرعاية وهو صغير.

ثانيًا: ما وهبَهُ اللهُ من القوَّةِ والشَّجاعةِ والعلم وما اتَّصفَ به من الحلْمِ والصَّبْرِ والأمانةِ والحميَّة. وما لَهُ من الجاهِ عندِ الله، وما حَصَلَ على يديْهِ من المعجزاتِ الخارقةِ للعادة.

ثالثًا: ما واجههُ من المحنِ لم تزدْهُ إلا إيمانًا، فهو يُواجهُ الخصومَ مواجهةَ الواثقِ بنصر الله؛ غير مبالٍ بما لديهم من العُدَّةِ والعَتَادِ معتمِدًا على الأسبابِ التي منحه إياها.

رابعًا: وإنَّ مما عرفتُ في بحثي عن موسى عليه السلام معالمَ الإيمانِ التي لو

سار عليها المسلمون اليومَ لما احتاجُوا إلى الدُّولِ العُظمى، وما لديها من سلاحٍ، لأنَّ الإيمان أقوى من السِّلاح ولأن المعيَّةَ التي حصلَتْ لموسى لا تزال ملازمة للمؤمنين في كلِّ زمان ومكان؛ مصداقَ قولِهِ تعالى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧١، ١٧٣].

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة السلفية، القاهرة، دون تاريخ.

٣- صحيح الإمام مسلم شرح النووي، دار الفكر، دون تاريخ.

٤- مسند ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي سنه ١٣٩٥هـ.

٥- صحيح الجامع الصغير لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، دون تاريخ.

٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، طبعة دار الكتب العربية، دون تاريخ.

٧- اختصار تفسير ابن كثير، الطبعة الأولى بيروت ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٨- فتح القدير محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الطبعة الأولى.

٩- تفسير لباب التأويل في معالم التنزيل لعلي بن محمد بن إبراهيم الخازن المطبعة البهية بمصر، دون تاريخ.

١٠- الإتقان في علوم القرآن عبدالرحمن السيوطي الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ.

١١- في ظلال القرآن لسيد قطب، الطبعة السادسة، دون تاريخ.

١٢-البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق محمد بن عبد العزيز النجار مطبعة الفجالة الجديدة في مصر ١٩٧٤م.

١٣- قصص الأنبياء لابن كثير، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد دار الكتب الحديثة بعابدين.

١٤- النبوة والأنبياء محمد على الصابوني، طبع على نفقة الشربتلي الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

١٥- مع الأنبياء في القرآن لعفيف عبد الفتاح طبارة، الطبعة التاسعة آذار ١٩٨١م دار العلم للملايين.

١٦- اليهود في القرآن لعفيف طبارة، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين.

١٧- قصص القرآن لمحمد أحمد جاد المولى المكتبة الأموية بيروت١٣٩٨هـ.

١٨- قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار، مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٨٦هـ.

١٩- أحسن القصص لعلي فكري دار الكتب العلمية ١٣٩٥هـ.

❁❁❁

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة